رحمة الله للعالمين

صلى الله عليه وسلم

محمد حسن عبد الله

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



رحمة الله للعالمين

صلى الله عليه وسلم

محمد حسن عبد الله

النـــاشر
مكتـــبة الآداب
٤٢ ميدان الاوبرا ــ القاهرة ت : ٣٩٠٨١٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

الى كل من استخلفه الله فى قطرة من بحـــار ملكه فبغى ، وظلم ، وفجر ...

أهـــدى اليـــه ســـيرة من منّ الله عليه بنعيمى الدنيـــا والآخرة .. فرحم ، وصبر ، وشكر ....

محمـــد حسن عبد الله



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للعالم الجليل الدكتور عبد الرشيد صقر
امام وخطيب مسجد صلاح الدين
وأستاذ الدعوة بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر الشريف

ان البشرية المؤرقة المضاجع السيالة المدامع ، المتوترة الأعصاب ، الممزقة النفوس فى أمس الحاجة الى مثل أعلى يهدىء روعها ويلم شعثها ويرشد خطاها ويقودها الى الغايات الكبرى ويفطمها عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد ويوظف مواهبها فى البناء وطاقاتها فى الاصلاح ويقودها الى المحاريب ويجندها لرب الوجود ويسوقها الى حراسة القيم ومسح القذى عن المبادىء .

ولن تجد البشرية فى القارات كلها انسانا تجسدت فيه المثل وتحركت به القيم وشمخ على يده البناء وشرفت به الكلمة واستعلت فيه الايجابية مثل سيد التاريخ نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم رائد الدعوة العالمية والخطرة الانسانية والخطوة الربانية .

انى أشعر ــ بعد بحث ــ بافتقار الانسان فى هذا العصر المائج الى منهجه الالهى وسلوكه الراشد وخلقه العظيم ومنارته الوضيئة ومعالمه اللافحة ومسلكه المستقيم حتى يحيـا من موات ويتآلف بعد شـتات .

ان الحروب أهلكت الحرث والنسل ، والأمراض أنهكت القوى ، والسلبيات لفت العالم بستائرها السود ، والمضائك عششت فى البيوت والاختلاسات خربت الأوطان والجبابرة أذلت الشعوب والطواغيت نكست الرءوس ولا تستنقذ الانسـانية من هـذا الوباء الداهم الا بتطلعها الى المثل العليا فى شخصية رسول الله صلى الله عليـه وسلم وسـيرها وراءه واقتفائها أثره وامتثالها أمره !!

ولقد ألف الأخ الأستاذ محمد حسن عبد الله كتابا قيمـا عن مسيرته صلى الله عليه وسلم بغية تنمية العقل وتغذية الوجدان وترشيد السلوك وترطيب الجفاف وانعاش الذابل لعل فيه اليقظة للأحاسيس الغافية والوقدة للنبضات الهامدة .

ان هذا الكتاب كوردة ناضرة بين أشواك علمانية لاذعة وكواحة وارفة الظلال وسط صحارى ماسونية قاحلة ، وهذه باكورة تترى بعدها الأزاهير النضاحة ان شاء الله .

أضرع الى الله أن يتقبله منه وينفع به ويجعله فى موازينه ويبيض به وجهه ويرفع درجته .. انه نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور عبد الرشيد صقر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله حمد الشـاكرين ، والصـلاة والسـلام على رسول الله المبعوث رحمة الله للعالمين .

وبعـــد ...

تمضي السنون والأيام ، وتتعاقب الأمم والأجيال ، وتختلف على النـاس حضارات وفلسـفات ومذاهب ونظريات اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وتبقى الحقيقة الخالدة التى تعلن للدنيا آناء الليل وأطراف النهار أن خير دين أنزل على خير رسول أرسل لخير أمة أخرجت للناس انما هو دين الاسلام .

انه دين الرحمة ... رحم الله به الكون كله : انسه وجنه، زرعه وضرعه ، دوابه وهوامه وطيره كما بينت ذلك آياته الكريمة فى قوله تعالى :

﴿ ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ .

ولم يكن ليحمل هذه الرسالة الا من أعده الله لهـا خلقا ، وخلقا ، وحكمة ، ورفعة وسموا ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن ليهدى الناس الى عبادة الرحمن الرحيم الا من حمل بين جنبيه قلبا ثريا بآيات الرحمة ، ومعانى الفضل والاحسان والبر والتقوى ، والحب والايمان .

ولقد نال كل من فى الوجود حظه من رحمته صلى الله عليه وسلم ... وتمثل فيه قول الله تعالى :

﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ .

ولقد تناولت فى هذا الكتاب قطرة من غيث الرحمة التى تغمدت العالمين برسالته السامية ، ودعوته المخلصة وجهاده الصادق .

أما عن المقدمة التى تفضل بها العالم الجليل الدكتور عبد الرشيد صقر امام وخطيب مسجد صلاح الدين ـ بالقاهرة ـ وأستاذ الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف والذى نذر حياته ، وعلمه للدعوة الى الله ، ولفظ فى سبيلها متاع الدنيا الزائل ...

فالله نسأل أن يجازيه عن الاسلام والمسلمين خيرا فى الدنيا والآخرة .... وأن يتغمده برحمته ويحسن ثوابه يوم لقائه ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .
ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه .... انه نعم المولى ونعم النصير .

محمد حسن عبد الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربى ما ارحمك :

سبحانك ربى « وسعت كل شىء رحمة وعلما » فأنعمت على التائبين بجميل عفوك ، ومننت على المنيبين بواسع رحمتك ، فانطلقت أرواحهم تهيم فى ساح الرضا ، تسبح بحمدك ، وتثنى عليك بما أنت أهله ، وتمجد جاهك وسلطانك .

سبحانك ربى ما من شىء الا يسبح بحمدك ، ويرجو رحمتك ، ويخشى عذابك . وكل من فى الوجود يدعوك لتنعم عليه . بحسن الجزاء يوم لقائك ، وليكون مع زمرة المتقين كما بينت ربنا فى كتابك الكريم وقلت وقولك الحق :

« يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا . ونسوق المجرمين الى جهنم وردا . لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا »[1] .

ربنا بظهر الغيب ما اكرمك !!!؟

لقد وسعتنا رحمتك ربنا قبل أن تمن علينا بالحياة . فأشهدتنا على أنفسنا فشهدنا .

---

(١) مريم : ٨٥ ـ ٨٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شهدنا بأنك وحدك البارىء ، المصور ، وما سـواك وهم باطل • وأقررنا بأنك وحدك الباقى ، وما عـداك ظل زائل • فانطلقت أرواحنا تجتاز آفاق الزمان لا نشرك بك أحدا ، ونقر بك فردا صمدا كما قلت ربنا فى كتابك الكريم وقولك الحق :

﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنـا عن هذا غافلين • أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ، ولعلهم يرجعون ﴾(٢) •

وفى الظلمات ربنـا ما ألطفك ؟

لقد أنشأتنا ربنا من الأرض ••• ولطفت بنـا ونحن أجنة فى بطون أمهاتنـا •• فأطعمتنا ••• وسـقيتنا •• ولا أحـد غيرك فى الظلمات يرعانـا ••• فأنت وحـدك أعلم بنـا من أنفسـنا ••• فما ألطفك ••• وما أبدع خلقك • وأجـل شـأنك ••• قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنـا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضـغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمـا ثم أنشـأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾(٣) •

---

(٢) الأعراف : ١٧٢ ـ ١٧٤
(٣) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى السماء وفى الأرض آيات رحمتك :

ان آيات رحمتك ربنا تتجلى فى أرضك وفى سمائك ... فالأرض ذللتها .. وسخرتها لنا ... نمشى فى مناكبها ... ونأكل من رزقها .. والسماء زينتها بالنجوم . . والكواكب .. وأنزلت لنا منها ماء طهورا ... فأحييت به الأرض بعد موتها ... فأسقيتنا والمخلوقات منه شرابا طهورا ... ولولا رحمتك .. لا ستحالت الحياة فى أرض جدباء لا نبات فيها ولا ماء ... ولولا رحمتك لكانت قاعا صفصفا لا تنبت كلأ ولا عشبا ...

قال تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون . ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾[4] .

الليل والنهار من آيات رحمتك :

... ومن رحمتك ربنا الليل والنهار ... ولولا رحمتك لما نعمنا بنهار تشرق بضيائه قلوبنا ... وتنشرح بمقدمه صدورنا ... فنجد فيه ونسعى ... ونجنى ثمار سعينا ... ولما هدأت أجسامنا وعقولنا فى ليل تسكن فيه مخلوقاتك

---

(٤) الواقعة : ٦٣ ـ ٧٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

.... قال تعالى :

﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾(٥).

ربنـا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا :

.. خلقتنا ربنـا لنعبدك ... ونأتمر بامرك ... وننتهي بنواهيك ... لكننا خطاءون بطبعنا ... تستهوينا أنفسنا . وتشغلنا من دونك دنيانا ... فننسى الغـاية من وجودنا ...

فنقضي أيامنـا ولياليـنا نلهث وراءها ... حتى اذا آذنت شمسنا بالمغيب ... وأذنت أيامنا للرحيل .. ندمنا على ما فعلنا ... وبكينا ... ورجونا أيامنا أن تعود بنـا القهقرى ...

ولكن هيهات ... فمـا فات ليس بآت ، والأيام تمضي الى حيث يشاء الله ، ونحن مما جنت أيدينا تتضاءل أمام آثامنا حتى تضيق علينا الأرض بما رحبت ... وتضيق علينا حتى أنفسنا واذا بحـديثك القـدسي يبعث في قلوبنـا الأمـل . . . واذا بكلماتك النورانية تهـدىء من روعنا ... وهي تتردد في كياننا كما حدثنا به نبينا محمـد صلى الله عليـه وسـلم وقال :

---

(٥) القصص : ٧١ ـ ٧٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« يقول الله تعالى ... يا عبدى لم تقنط ؟ ... أليس أنا الذى أظهرتك ... ولأمانى طوقتك ... مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتنى ... وتتنحى كأنك ما وافقتنى ...

عبدى : ان استقلتنا أقلناك ... وان تبت الينا قبلناك ... وان عزمت على قصدنا أدنيناك ... وان اضطرب دليلك أريناك ... وان عاديت نفسك فى حب ودنا والينـاك ... وأن بكيت لضر دوائك داويناك ... وان بكيت لضرك شفيناك وان بكيت خشـية أحضرناك ... وان بكيت خوفا أمناك ... وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك »[6] .

وساعتها تنجاب عن نفوسنا الظلمات ... وتتغشانا بفضلك الرحمات ... ويتردد فى آذاننا الحديث النبوى الشريف الذى نزداد به أمنا وأمانا .. والذى قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم « ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ... وبها يتراحمون ... وبها تعطف الوحوش على ولدها ... وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بهـا عباده يوم القيامة »[7] .

رحمـة الله للعـالمين :

... ان رحمتك ربنا لا تحيط بمداها العقول ... ولا تحدها

---

(٦) حديث قدسى رواه ابن مسـعود رضى الله عنه .

(٧) متفق عليه .

الحدود •• فقد وسعت أرضك وسماءك • وبرك وبحرك ••
وانسك وجنك ••• وزرعك وضرعك ••• وحسبنا رحمة ورأفة
وشفقة وكرما وجودا أنك مننت علينا بنبى الرحمة ••• رحمت
بـه الوجود ••• ورحمت به العالمين ••• وأرسلته الينـا هاديا
ومبشرا ونذيرا ••• فنعمت به الانسانية ••• لمـا اتبعت النور
الذى أنزل معه ••• ولمـا آمنت به وصدقته واتبعت سنته •••
واهتدت بهديه •••

وحسبنا ما جاء فى كتابك الكريم مبينا مقام نبيك العظيم
الرحمة المهداة •• والنعمة المسداة •• : « وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين »[8] •

رحمـة الله للعـالمين بظهر الغيب :

لقد رحمت به من اصطفيته من خلقك وهو بظهر الغيب
••• واصطفيت له كل فرقة وكل قبيلة وكل بيت انتسب اليه •••

انه صلى الله عليه وسلم ينتسب الى أبى الأنبياء ابراهيم
••• وسيرته فى الدعوة الى الله مشرقة بنوره •• فقد افتدى
بنفسه أسمى القول وأحسنه ••• ورضى بأن يحرق جسـده
••• لكن النـار امتنعت عن حرقه ••• وكانت بأمر ربها بردا
وسلاما على ابراهيم •••

---

(٨) الأنبيـاء : ١٠٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى : ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون • قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ﴾[٩] •

واصطفيت له ولده اسماعيل عليه السلام ••• وابتليته برؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام ••• فامتثل لأمرك ••• ورضى أن يذبحه أبوه •• فمننت عليهما بذبح عظيم ••

قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ••• قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلما أسلما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ﴾[١٠] •

واصطفيت له بنى هاشم بيتا ••• وعبد الله أبا ليحمل هذا النور الى العالمين ••

وقد رأت هذا النور فاطمة بنت مر •• وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، ودعته أن ينكحها • لكنه أبى •• وتزوج آمنة بنت

---

(٩) الأنبياء : ٦٦ ــ ٦٩.
(١٠) الصافات : ١٠١ ــ ١٠٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهب ••• فانتقلت اليها الرحمة ••• ورأت حين حملت منه آياتها ••• وبشرت الوجود بما رأته وقالت :

« رأيت حين حملت به أن خرج منى نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام ••• ثم حملت به ••• فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ••• ودفع حين ولدته ••• وانه لواضع يديه بالأرض ، رافعا رأسه الى السماء » •

رحمة الله للعالمين وحليمة السعدية :

وقد قالت حليمة السعدية رضى الله عنها من رحمته صلى الله عليه وسلم ما أبدل حالها الى خير حال ••• وسجلت ما أصابها وقومها وأتانها وشارفها من فاقة ••• قبل أن يمن الله عليها برحمة الله للعالمين وقالت :

« خرجت فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ••• على أتان قمراء •• ومعنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة ••• وما تنام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ••• من بكائه من الجوع ••• ما فى ثديى ما يغنيه ••• وما فى شارفنا ما يغذيه ••• ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ••• فخرجت على أتانى تلك حتى أزمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا » •

قدمت حليمة رضى الله عنها مكة المكرمة مع صواحبها يلتمسن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرضعاء من ذوى اليسار والغنى •• فأخذت كل منهن رضيعا ، الا حليمة رضى الله عنها ••• وتركن محمدا لأنه يتيم •••

قالت حليمة تصف مشاعرها : « فما منا من امرأة الا وقد عرض عليها محمد (رسول الله ﷺ) ••• فتأباه اذا قيل لها انه يتيم ••• ذلك أننا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ••• فكنا نقول : يتيم ؟!! ••• وما عسى أن يصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ••• فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا ، غيرى ••• فلما أجمعنا على الانطلاق قلت لصاحبى : والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا ••• والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه •••

قال : لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ••• فذهبت اليه فأخذته ••• وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره » •

وقد أحسنت حليمة رضى الله عنها صنعا لما أخذت بنصيحة صاحبها ••• فقد حملت فى حجرها خيرا وبركة ، أبدلها الله بعسرها يسرا ••• وبضيق العيش سعة وفرجا ••• وبكل هم ألم بها مخرجا ••• ولقد عبرت عن الرحمة التى تغمدتها ومن حولها وقالت : « فلما أخذته رجعت به الى رحلى •• فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ••• فشرب حتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روى ... وشرب معـه أخوه حتى روى ... ثم ناما ... وما كنا ننام معه قبل ذلك ...

وقام زوجي الى شارفنا تلك .. فاذا انها لحافل ، فحلب منهـا ما شرب ... وشربنا معه حتى انتهينا ريا وشبعا ... فبتنا بخير ليلة ... » .

ولما رأى صاحبها ما أصاب الأسرة من نعيم ... ومـا أفاء عليها من بركة .. قال لصاحبته : « تعلمي والله يا حليمة .. لقد أخذت نسمة مباركة » .

رحمـة الله للعـالمين والركب الميمون :

ولما عادت حليمة رضي الله عنها الى الركب رأت من أمر أتانها عجبـا ... ورأت صواحبها منها ما جعلهن يتعجبن ... ويسألن حليمة رضى الله عنهـا وهى تسبقهن ويقلن : « يا ابنة أبى ذؤيب ويحك أربعى علينا .. أليست هذه أتانك التى خرجت عليها ... فتقول لهن : والله انها لهى ... فيقلن : « والله ان لهـا لشأنا » .

رحمـة الله للعـالمين فى ديار بنى سـعد :

وفى ديار بنى سعد تنزلت الرحمات لما قدم اليها محمد (نبى الرحمة) ... ونزل الغيث واهتزت الأرض وربت وأنبتت الكلأ والعشب ... وكانت من قبل جدباء لا ترى العين للحياة فيهـا

أثرا ••• ولا ترى لبنا فى ضرع ••• ألا انه لمـــا هلت البركات بمقدم خير المخلوقات من الله على الديار ، فاذا بها وقد تبدلت الى خير حال كما وصفتها حليمة رضى الله عنها وقالت : (ثم قدمنا منازلنـــا من بنى ســعد ••• وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ••• فكانت غنمى تروح حين قدمنا شباعا لبنـــا فنحلب ونشرب ••• وما يحلب انسان قطرة لبن ••• ولا يجدها فى ضرع ••• حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويحكم : اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ••• فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن ••• وتروح غنمى شباعا لبنا •• فلم نزل نتعرف من الله الزيادة فى الخير حتى مضت سنتاه وفصلته) •



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ، الله اعلم حيث يجعل رسالته ، سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ .

(الأنعام : ١٢٤)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لله الفضـــل والمنـــة

رحمـة الله للعـالمين وطهارة النفس :

... لقــد من الله على خلقـه بخير خلقـه ... ونزع من صـدره كل نقيصة تشينه ، وهو لم يزل على أول عتبـة من عتبات الحياة ... وأعده لرسالته نقى السريرة طاهر القلب حتى اذا دعـا الناس الى مكرمة كان أكرمهم خلقـا ... وان دعاهم لعمل صالح كان أكثرهم صـلاحا وحتى ترى النـاس فيـه صلى الله عليه وسلم مبادىء الاسلام السامية ... تراه رطب اللسان بذكر الله ، وبالطيب من القول ... وتراه رحيم القلب يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ... محسنا كأنما يرى ربه أمامه .. ملتزما أوامره ... مجتنبا نواهيه ...

... والله كما قال فى كتابه الكريم « أعلم حيث يجعل رسالته » ... فقد طهره حتى لا تحجبه عنـه وساوس النفس وهمزات الشيطان ، كما بين ذلك فى حديثه الشريف وقال : « بينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنـا اذ أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجا ... ثم أخذانى فشـقا بطنى ... واستخرجا قلبى فشقاه ... فاستخرجا منه علقـة سوداء فطرحاها ... ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ••• فقال : دعه ••• فوالله لو وزنته بأمته لوزنها ••• » •

حقا ••• انه صلى الله عليه وسلم يزن أمته لأن أمته لم تذكر بين الأمم الا به ••• ولأن أمته لم تسد غيرها من الأمم الا بالكتاب الذى أوحى اليه •

••• وقبل هذا وبعده ، فان أمته لم تسجد لخالقها ••• مسبحة بحمده الا لما اهتدت بهديه صلى الله عليه وسلم وآمنت برسالته •••

رحمة الله للعالمين قبل بعثه :

••• ••• كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاملاته ••• وكمال سلوكه ••• وحسن أخلاقه فى صباه ••• وفى شبابه ••• وقبل بعثه وبعد بعثه ، نسقا واحدا لم يتغير •• فقد لازمته أخلاقه السامية ••• وسموه النفسى ••• وسجاياه الحميدة فى مراحل حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى ••

ذلك أن الله اصطفاه •• وأوحى اليه بالنور الذى هدى بـه من يشاء من عباده •••

قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور ﴾[1] .

سداد رأيه ونفاذ بصيرته :

... ولعلنا لو عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه لرأينا نفاذ بصيرته وسداد رأيه رأى العين ... ولرأينا الثقة التى من الله عليه بها ظاهرة للعيان ...

لقد سمته العرب « الأمين » وتحاكمت اليه لما اختلفت على الحجر الأسود ، وحاولت كل قبيلة أن تحوز الشرف وتحمله من دون القبائل وتضعه فى الركن ...

.. وكادت أن تتقاتل لولا أن أشار اليهم أسنهم بأن يحكموا أول من يدخل المسجد الحرام .

وكان أول الداخلين محمد . فقالوا : هذا الأمين محمد قد رضينا ، فأخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : هلم الى ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود ووضعه فى الثوب بيده وقال : لتأخذ كل قبيلة من ناحية الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ،

---

(١) الشورى : ٥٢ ، ٥٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده الشريفة ، ثم بنى عليـــه ...

حقا .. لقد كان صلى الله عليه وسلم نافذ البصيرة ، سديد الرأى قبل بعثه ، وكانت العرب تعرف قـــدره أمينا صـــادقا ، عادلا ، فكان ما حدث يوم أعادت قريش بنـــاء الكعبـــة ...

ولعلنـــا نرى فى هذا الحدث معنى كريما حمله الغيب بين جوانحه حتى اذا حانت الساعة وبعثه الله رحمة للعالمين ألف به القلوب وهدى به النفوس .

لقد اصطفاه ربه وأعده لرسالته ، فكان نسيجا وحده فى بيئة متقاتلة متنافرة لم تجاوز من قبل مجتمعا راقيا لتنال منه حظا من علم أو معرفة ، لكنه صلى الله عليه وسلم نشأ وعين العناية تكلؤه وتحرسه وتهديه ، فكان قبل بعثه ــ كما وصفته خديجة أم المؤمنين وهى تهدىء من روعه يوم نزل عليه الوحى ــ وقالت : « كلا والله لا يخزيك الله أبدا ... انك لتصـــل الرحم .. وتصـــدق الحديث ... وتؤدى الأمانة ... وتحمل الكل ... وتقرى الضيف ... وتعين على نوائب الدهر .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ .

(التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

رحمة الله للعالمين ومرآه العام :

كان صلى الله عليه وسلم فى كمال خلقه رحمة للعالمين .

وكان مرآه العام أمنا وأمانا للناظرين ، ومودة وحنانا ، وطمأنينة للقلب وسلاما للمؤمنين ، وألفة للروح ووئاما لمن أنعم الله عليه من المهتدين .

وصفت كتب السيرة محاسنه الظاهرة وقالت : بأنه كان صلى الله عليه وسلم عظيم الهامه ، ربعة مقصدا ، معتدل الخلق ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد . بادنا ، ليس بالجسيم ، رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين .

وبأنه كان مشرق الوجه ، أبيض ، مشربا بحمرة ، أزهر اللون ... ليس بالأبيض الأمهق[1] ... ولا بالآدم[2] ... »

ووصفته بأنه كان أدعج[3] العينين ... أشكل[4] ... أهدب[5] الأشفار ، أكحل من غير كحل ...

---

(١) الشديد البياض . (٢) الأسمر .
(٣) شديد سواد الحدقة .
(٤) شديد بياض العين مع سعة فى شق العين .
(٥) كثافة وطول شعر الأجفان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقالوا ان عنقه كان في صفاء الفضة ، وان أسنانه كانت مثل حبات اللؤلؤ ، وان ساقيه كانتا مثل جمار النخل ..

ووصفوا قدميه بالاستواء ، اذا وضعهما نبا عنهما الماء ...

ولأن صورته الشريفة استأثرت بمشاعرهم ، فقد آثروه على أنفسهم ... ووصفوه ببصائرهم قبل أبصارهم ، ورأوا في محاسنه الظاهرة محاسنه الباطنة ...

وصفته عاتكة بنت خالد الخزامية لما مر عليها ليلة هجرته ومعه الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، ودليلهم عبد الله بن أريط ....
وصفته لزوجها وقالت :

« ... رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ... حسن الخلق . لم تعبه ثجلة[٦] ... ولم تزر به صعلة[٧] ... قسيما وسيما .. في عينيه دعج[٨] ... وفي أشفاره وطف[٩] ... وفي صوته صحل[١٠] ... أحور[١١] ... أزج(١٢) ... أقرن(١٣)

(٦) عظم البطن . (٧) صغر الرأس .
(٨) شدة سواد حدقة العين .
(٩) كثرة شعر الحاجبين .
(١٠) بحة في الصوت . (١١) شدة بياض العين .
(١٢) دقيق طرف الحاجبين .
(١٣) بين الحاجبين شعر خفيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذا صمت فعليه الوقار ... واذا تكلم سما وعلاه البهاء ... حلو المنطق ... كلامه فصل ... لا نزر[14] ولا هذر[15] ... كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن .. أبهى الناس وأجملهم من من بعيد وأحسنهم من قريب ... لا تشنؤه عين من طول ... ولا تقتحمه عين من قصر ... غصن بين غصنين ... فهو أنضر الثلاثة منظرا ... وأحسنهم قدا ... له رفقاء يحفون به ... اذا قال استمعوا لقوله ... وان أمر تبادروا لأمره » ...

... ووصفته ربيع بنت معوذ رضى الله عنها وقالت : « لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » ا هـ .

... ولقد صدقت الصحابية فى وصفها ... فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس لما أشرقت بهديه ظلمات النفوس ... واهتدت بنور رسالته القلوب ... ورأت بما أوحى اليه الحق فاتبعته ... والباطل فاجتنبته .....

... لقد أحبه الصحابه رضوان الله عليهم .. وتيمنوا بآثاره فى الحرب وفى السلم ... فى الحياة وفى الموت .

... وتعلقوا بآثاره حتى انهم اقتسموا شعره يوم حلق رأسه فى العمرة ... فأخذ خالد بن الوليد رضى الله عنه شعرة فجعلها فى قلنسوته ، يتيمن بها فى غزواته . . كما وان أنس

---

(١٤) قليل . (١٥) كثير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بن مالك رضى الله عنه أوصى بوضع شعرات تحت لسانه بعد موته تبركا بهـا ...

وفعل الامام أحمـد بن حنبـل رضى الله عنه مثـل ذلك وهو فى سجن المـأمون .. وأوصى بأن يجعل بعد موته شعرة فى كل عين ... والثالثـة تحت لسـانه اقتداء بأنس بن مالك رضى الله عنه(١٦) ...

.... هؤلاء الذين أحبوه ... واتبعوه .. رأوا آيات الرحمة فى مرآه العـام .. فأوحت اليهم بمحاسـنه الباطنة ... وكمالاته الخفية ...

أما من طبع الله على قلبه ... واتبع هواه ... فقد أظلمت بصيرته ... فلم تر عيناه كماله وجلاله .. فكفر وجحد ... وأنـكر نبـوته ... صـدق هـذا فى الصـحابى عمرو ابن العاص رضى الله عنه ... الذى رآه بعد اسلامه فى صورة غير التى رآه قبل اسلامه ... فأعجزته مهابة النبى صلى الله عليه وسلم أن يديم النظر فيه ....

وفى هذا المعنى يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : « انه لم يكن شخص أبغض الى منه .. فلما أسلمت لم يكن شخص أحب الى منه .. ولا أجل فى عينى ... ولو سئلت أن أصـفه لكم لمـا أطقت ، لأنى لم أكن أملأ عينى منه اجلالا » .

---

(١٦) « شيخ الأمة ـ احمد بن حنبل » .
الأسـتاذ عبد العزيز سيد الأهل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعــالى :

﴿ فبمــا رحمــة من الله لنت لهم ... ولو كنت فظـا غليظ القلب لا نفضــوا من حولك ... فاعف عنهم ... واستغفر لــهم ... وشــاورهم فى الأمر ... فاذا عزمت فتوكل على الله ... ان الله يحب المتوكلين ﴾ .

(آل عمران : ١٥٩)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلقه ﷺ رحمة للعالمين

اخلاقه رحمة للعالمين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل العالمين خلقا ، وأفضلهم خلقا ، وأسماهم نفسا ، وأطهرهم قلبا .

ذلك لأن سلوكه صلى الله عليه وسلم ، ومعاملاته ، وأقواله ، وأفعاله ، وعباداته كانت ترجمة صادقة لآيات القرآن الكريم .

ولقد عبرت عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالت : « كان خلقه القرآن » ، فقد روى ذلك سعد بن هشام عن عائشة رضى الله عنها وقال :

« أتيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقلت لها : أخبرينى بخلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » . أما تقرأ : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[1] .

ولو تدبرنا آيات الله البينات لرأينا أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحيد عنها قيد أنملة ، فقد كانت أوامر

---

(1) رواه ابن جرير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ربـه وفواهيه تنبض حياة في سره وجهره ، ويقظته ومنامه ، وحربه وسلمه

وحسبنا دليلا على ذلك بعض الآيات الكريمة تتدبرها ونرى أخلاقه صلى الله عليه وسلم على ضوئها لنرى ما قالته أم المؤمنين رضى الله عنها حقيقة ماثلة أمام أعيننا ، نكاد نلمسها بأيدينا ، ونراها ببصائرنا وأبصارنا .

لقد وصفته آيات ربه بالرحمة ، ووصفت معاملته لقومه باللين في قوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمـــر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ﴾[٢] .

ولقد تجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يهدى قومه الى الله ربا ، والى الاسلام دينا ، فدعاهم الى الرفق بأنفسهم فى عبادة ربهم كما يبين ذلك الحديث الشريف الذى رواه أنس رضى الله عنه قال : « دخل النبى صلى الله عليه وسلم فاذا حبل ممدود بين السارتين » فقال : « ما هذا الحبل ؟ » .

قالوا : هذا حبل لزينب ، اذا فترت تعلقت به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا فتر فليرقدن[٣] .

---

(٢) آل عمران : ١٥٩ (٣) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخشى على الناس أن تستن به فيما يأتيه من أعمال قد يراها ثقيلة على الناس . . . فيدع العمل بهـا رحمة بهم ...

قالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمـل بـه الناس فيفرض عليهم »(٤) .

... وكان صلى الله عليه وسلم رحيما بخـدمه ، هـذه الرحمة التى يعرضها أنس بن مالك رضى الله عنه ويقـول : ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ... فما قال لى قط : أف ... ولا قال لشىء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشى لم أفعله ألا فعلت كذا(٥) .

ولم يكن مولى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها بأقـل حظا فى رحمته من خدمه .. فقد أعتقه وعامله أكرم معاملة تجلت لمـا جاءه أهله من اليمن ليرافقهم الى قومه . وخير رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره ان شاء رافق أهله وان شـاء أقام معه .. فآثر الحيـاة معه لمـا لمسـه فى معاملته من رحمة وشفقة ورأفة ..

---

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظا ولا غليظ القلب ••• ولم يكن فاحشا ••• ولا بذيئا ••• ولا صخابا فى الأسواق ••• بل بعثه الله رحمة للعالمين •••

ولقد لمسنا بعض آثار هذه الرحمة الربانية مع زوجه ، وولده ، وخدمه ، ومولاه ••• ولو حاولنا أن نستسقى من فيض الرحمة التى من الله بها على الانسانية لما وسعتنا هذه الصفحات •••

لذا سنحاول أن نتذوق من بحار رحمته قطرات نطفىء بها لهيب شوقنا الى حياة السلف الصالح التى أظلتها مبادىء الاسلام السامية ••• والتى سادتها العلاقات الانسانية •••••••

•••••• ونحن لو مضينا نتدبر فى آيات الله الكريمة التى هدته الى الطيب من القول ••• والصالح من العمل ، ووصفته بقلبه اللين الذى تآلفت به القلوب •• لرأينا أن هذه الآيات الكريمة تدعوه الى « العفو » عن الجاهل والسفيه والمسىء بقول أو فعل •••

ذلك أن الله ــ وهو أعلم بعباده من أنفسهم ــ أكرمهم بنبيه الذى وسع بعفوه ذوى النفوس المريضة ••• وكان لهذا العفو أثره فى شفائها وعودتها الى ركب الانسانية مشرقة بنور الله ، طيبة طاهرة •••

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد كان «العفو» من صفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد فجر بـه ينابيع البر والألفة بين قومه ، لأنه صلى الله عليه وسلم سما بهذه الفضيلة الى أسمى مكانة وأعلى منزلة ، حتى انه لم يعد لأحد مهما وصف به أن يسمو الى منزلته ، أو حتى يحوم حولها ، والا فأين منا هذا الذى يناصبه أقرباؤه وجيرانه وأفراد عائلته وقومه العداء فيسبونه ويأتمرون لقتله ويخرجونه من موطنه ويقاتلونه فى مهجره ، ويمثلون بصحابته أبشع تمثيل .. كل ذلك لكلمة حق قالها ... حتى اذا نصره ربه جاءته هذه العصبة خاشعة تنظر اليه من طرف خفى ، وهى تظن به الظنون حتى يحاورها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟! قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وقد يتجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو الى مرتبة أسمى فيحسن الى من يؤذيه بكلمة جارحة أو سلوك معيب ، ويوقظ بعفوه واحسانه معانى الخير فى نفسه ، ويعظه بسلوكه الكريم ويدعوه الى ربه ليرق قلبه ويلين ، ويألف القول الطيب ، والمعاملة الحسنة مع نبيه صلى الله عليه وسلم ومع جماعة المسلمين .

عن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت فى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : « يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء »[٦] .

ولا غرابة فى ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يسمو بعفوه فيحسن الى من أساء اليه ثم يستغفر له لأنه ما جاء يدعو قومه والعالمين لينال مغنما فى الدنيا ، شرفا كان هذا المغنم أو جاها ، مالا كان أو سلطانا ، بل كانت دعوته خالصة يبغى بها وجه ربه ، فكان مقامه فى العفو عطاء واحسانا ، واستغفارا ودعاء .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

« ... كأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « ... اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون »[٧] .

رحمة الله للعالمين والشورى :

لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلتزم بآيات

---

(٦) متفق عليه .

(٧) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله البينات فى خلقه الحسن ••• ولنمض مع هذا الالتزام النبوى بأوامر ربه ••• وهو يستشير الصحابة رضوان الله عليهم فى شئون حياتهم •••

لقد استشارهم فى السلم وفى الحرب ••• فانتظمت حياتهم ••• وافتدوا دينهم بأرواحهم وأموالهم ••• فتحقق لهم النصر فى دنياهم ••• والفوز بالنعيم المقيم فى أخراهم •••

لقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى قتال المشركين يوم « بدر » ••• فقام أبو بكر رضى الله عنه ••• ومن بعده عمر رضى الله عنه فأحسنا القول ••• وقام من الانصار سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال : فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ••• وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا ••• انا لصبر فى الحرب ••• صدق عند اللقاء ••• لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ••• فسر على بركة الله •

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه :

•• يا رسول الله ••• أرأيت هذا المنزل ؟! ••• أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن تتقدم ولا نتأخر عنه ؟! أم هو الرأى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحرب والمكيدة ؟ ... قال : بل هو الرأى ... والحرب ... والمكيدة ... قال : يا رسول الله فان هـذا ليس بمنزل ... فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ... ثم نغور ما وراءه من القلب ... ثم نبنى عليه حوضـا فنملؤه ماء ... ثم نقاتل القوم ... فنشرب ولا يشربون ... فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى .

... فنهض ومن معه من الناس ... فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت ...

الشـورى فى غزوة « أحـد » :

... ولقد استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى غزوة « أحد » ، وكان رأيه البقـاء فى المدينة المنورة ويدع المشركين حيث نزلوا ... فان أقاموا حيث هم أقاموا بشر منزل . . . وان دخلوا المدينة قاتلوهم ...

... كان هذا رأيه ... لكن قوما فاتتهم « بدر » أرادوا الخروج ... فنزل على رأيهم وخرج للقاء أعدائه من المشركين ..

... وهنا نلمس رحمته صلى الله عليه وسلم بأتباعه ... وهو يلقن المسلمين درسـا عمليا فى الولاية ... ويعلن للانسانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن أحدا كائنا من كان ومهما كانت قدراته ومواهبه لا يملك أمر المسلمين وحـــده •• يفكر ويقرر ويدعوهم الى ما رآه

••• لا أحد يملك هذا الحق ••• لأن الانسان خطاء بطبعه قـــد تغريه الســـلطة ••• ويستعبده المـــال ••• وتستولى على عواطفه ومشاعره الشهوات ••• فيتبع هواه ••• ويسخر رعيته لتحقيق مآربه •••

هنـــا نرى رحمته وقـــد وسعت الانسانية كلهـــا لتنتظم الحياة وتتحقق آدمية الفرد وخير الجماعة ••

﴿ فاذا عزمت فتوكل على الله ﴾ :

ثم تأمره الآيات الكريمة أن يعد عدته ••• ويعقد عزمه ••• ويدع الأمر لله يفعل فيه ما يشاء •

••• وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره به ربـــه « يوم أحد » •• لقد شاور أصحابه ••• ونزل على رأى الجماعة • واستعد للقـــاء المشركين ••• فجـــاءه الذين خالفوه يقولون :

« استكرهناك ••• ولم يكن ذلك لنـــا ••• فان شـــئت ••• فاقعد صلى الله عليك » •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ... ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمتــه أن يضــعها حتى يقــاتل ... » .

الدعــوة الى الله :

... وفى دعوته صلى الله عليه وسلم الى الله التزم بآيات ربــه ... واتبع المنهج الربانى فى الدعوة ... ولم يخرج صلى الله عليه وسلم عن هذا السبيل القويم الذى بينه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ ... ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجادلهم بالتى هى أحسن .. ان ربك هو أعلم بمن ضل عن ســبيله .. وهو أعلم بالمهتدين ﴾[8] .

... ولقد تمثلت حكمته فى المقال المناسب لكل مقام ... والمثــال الملائم لكل بيئة ... والقول المتســق مع كل فئــة اجتماعية ...

... عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ... قــال : وما أهلكك ؟! . قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . قال :

---

(8) النحل : ١٢٥

تجد ما تعتقه . قال : لا . قال : فهـل تسـتطيع أن تصـوم شهرين متتابعين ؟ . قال : لا . قال : فهل تجـد ما تطعم ستين مسكينا ؟! قال : لا . ثم جلس .. فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعذق فيه تمر . فقال : تصدق بهذا . قال : فهل على أفقر منا ؟ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقـال : اذهب فأطعمه أهلك .

وفى هذا الحديث الشريف تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس الى ربهم كما أمرته بذلك آيات الله البينات .

لقد عرض صلى الله عليه وسلم على الآثم سبلا عديدة ليكفر بما يطيقه منها خطيئته وفتح له أبواب الرحمة على مصراعيها ليدخلها من أى باب تؤهله له قدراته ، لكن الرجل معدم لا يملك شـيئا .

ثم نرى الحكمة النبوية فى الدعوة وهو يدعو هذا الآثم الذى ضاقت به سبل التوبة جالسا أمامه ، لا يضيق بمجلسه صلى الله عليه وسلم ولا يتبرم ، ولا يقهره ، ولا يلومه : ولا يؤنبه على ما فعله : حتى اذا أتته الصدقة أعطاها له ليكفر بهـا عن ذنبـه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن الرجل يعلن أنه أشــد الناس حاجة هو وأهله الى هــذه الصدقة .

يعلن ذلك ، وكأنما جاء ليبين للناس حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته لربه ، فلا يغضب رســول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يضحك كما يبين لنــا الحديث حتى بدت نواجذه ، ثم يأذن له بذلك ليعود الى أهله بعفو الله عن خطيئته وباحسان النبى صلى الله عليه وسلم وفضله .

الموعظــة الحســـنة :

ان آيات الله البينات أمرت رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد رأينا ما يــدل على حكمته فى الحديث الشريف الذى تعرضنا له .

أما دعوته للنــاس بالموعظة الحســنة فتتمثل فى أحاديثه الشريفة ، وأمثاله الموحية بالهدى والرشاد ، وصبره على سفاهة المجادلين ، وقوله اللين ، وجوامع كلمه التى بلغ بهــا رســالة ربه جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ومقالاته التى ناسبت كل مقــام .

وحسبنا دليــلا على دعوته للناس بالموعظة الحسنة : أمثاله التى ضربها فى أحاديثه الشريفة ، والتى كان لهــا أعمق الأثر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هداية أتباعه ، لقوة دلالتها ، ولوضوح مرماها ، ومناسبتها لمقـام سامعيها ، والتى ما زالت وستظل فى سمع المؤمن وقلبـه قوية ، مؤثرة ، ذات فعالية تحقق غايتها فى كل آونة وحين .

وكفى بأمثاله شاهدا على موعظته الحسنة والتى لاءمت كل زمان ومكان ، وكل بيئة علمية ، وكل مستوى حضارى ، والتى ما زالت ألفاظها ، وعباراتها ، وأساليبها مألوفة كأنهـا لغـة العصر الذى نعيشه ، لا حشو فى ألفاظها ، ولا غرابة فى نظمها ، وفى مدلولاتها .

ولنتدبر مثـلا ضربه يدعو فيه أتباعه لاختيار البيئة الصالحة التى تزدهر فيها مبادىء الاسـلام السامية ، وأخلاقه الفاضلة ، وأعماله الصالحة ، ويحذرهم فيه من البيئة الفاسدة المفسـدة التى تحطم معنويات المسلم الصالح ، وتدمر قيمه ، ومثله العليا ، والذى ضربه فى حديثه الشريف الذى قال فيه :

« انما مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك ، واما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد منه ريحا منتنة »[٩] .

---

(٩) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان هذا المثل الذى دعـا فيه الصحابة رضوان الله عليهم الى اختيار البيئـة الصالحة التى تحفظ عليهم دينهم وقيمهم ، ومثلهم العليـا ليعبر عن أسلوب دعوته كما أمره ربه •

كما وأن أثره الطيب كان يسرى هينـا لينـا فى قلوب الصحابة رضوان الله عليهم وهو يعظهم وجلال النبوة يغشاهم ، ويعمر قلوبهم بنور الايمان ، فانه ـ وحتى الساعة والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ سيظل يحمل عبر القرون كمـال النبى صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه ، وصدقه ، وصفاء نفسـه الى من يقرؤه أو يسمعه من الأجيال المتعاقبة •

ان الموعظة الحسنة التى انصهرت بهـا القلوب المتحجرة لتبدو فى أحاديثه الشريفة كلهـا ، وفى أمثاله التى ضربها ليبين بهـا حكما أو يصلح بها عملا فاسقا •

ولو حاولنـا عرضها لمـا وسعتنا هذه الصفحات ، لذلك سنكتفى بحديث شريف آخر يبن فيه حال العبد المسلم الذى لا تنهاه صلاته ، وصومه ، وزكاته ، عن ايذاء المسلمين ، وعاقبة السوء التى تنتظره يوم لقـاء ربه وهو يعطى لذوى الحقوق حقوقهم •

لقد صـوره الحديث الشريف أدق تصوير حتى وكأننـا نلحظه ونراه وهو يعطى لهذا وذاك حقـه فى عباراته ، ونكاد

(*) بسكون الياء فيهما ، راجع القاموس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نشفق عليه وعلى أمثاله وهم فى هذا الكرب العظيم ، وتتمزق نياط القلوب لما يصوره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورته الكئيبة وقد انتهت عباداته ولم يزل العباد يطالبونه بحقوقهم حتى تطرح عليه خطاياهم ، ثم يطرح فى النار .

انها موعظة تذيب الصخر ، وتلين أقسى القلوب ، وتقشعر لمغزاها ومرماها جلود الجبابرة وهم يسمعون حديثه الشريف الذى قال فيه لأصحابه ذات يوم :

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة ، وزكاة ، وصيام ، ويأتى ، وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته — قبل أن يقضى ما عليه — أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار »[١٠] .

ان الموعظة الحسنة التى أمرته بها آيات الله البينات لم تكن لتقتصر على أحاديثه الشريفة التى ضرب فيها أدق الأمثال ، والتى تناولت جوانب الحياة كلها فى الدنيا والآخرة ، بل لعلنا لو تدبرنا أفعاله ، وأخلاقه ، وعباداته ، وجهاده لرأيناها موعظة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

---

(١٠) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أن حيـاة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ مولده حتى يوم لقـاء ربه كانت كتابا يعظ فيـه الانسانية لمـا فيـه صلاحها فى دنياها وأخراها •

فهو فى صحته كان يعظ الناس بالحمد والشكر ، وبالصلاة والصيام وبالدعاء وفضائل الأعمال •

وهو فى مرضه كان يعظ الناس بالصبر والامتثال لقضـاء الله • •

وهو فى جهاده كان يعظ الناس بشجاعته ، واخلاصه ، وصدق عزيمته ، وقوة يقينه •

وهو مع أسرته كان يعظ الناس برحمته ، وبره ، ومودته، واحسـانه •

وفى ايجاز شديد نقول ان حياته كلها كانت موعظة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر •

المجـادلة بالتى هى احسن :

نحن ما زلنـا تتدبر آيات الله متمثلة فى أخلاق رسـول الله صلى الله عليه وسلم لنراها نابضة بالحياة وهو يدعو الناس الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولننتقل الى مجادلتهم بالتى هى أحسن وهو يدعوهم الى ربهم لنرى المجادلة الحسنة متكاملة مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وكان يدعو قوما أبطلوا الحق وحاربوه ، وأحقوا الباطل وناصروه ، وأمثال هؤلاء هم أشد الناس حاجة الى المجادلة بالتى هى أحسن .

ولولا أنه صلى الله عليه وسلم كان يمتثل أمر مولاه فى جداله معهم لما اتبعوه ، وآمنوا به ، ونصروه .

لقد كانت السادة والأشراف وأصحاب المصلحة يجادلونه جدالا يثير الحليم ، وكانوا يرون أن مبادىء الاسلام السامية تقيد معاملاتهم ، وتقف حجر عثرة أمام شهواتهم وأهوائهم ، فلا يدعون سبيلا يفترون فيه على الله بكاذب القول ، وظالم الافتراء الا سلكوه فرسول الله صلى الله عليه وسلم يدحض افتراءهم بالحجة البالغة ، والمنطق المفحم ، دون أن يؤذى مشاعرهم أو يجرح كبرياءهم .

ولنعش مع حديثه الشريف وهو يحاور شابا رأى فى الاسلام ومبادئه عقبة تقف دون شهواته ، فجاءه وقال يا نبى الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس . فقال النبى صلى الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه وسلم : قربوه ؟ أذن ، فدنا حتى جلس بين يديه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟ قال : لا .. جعلنى الله فداءك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . أتحبه لابنتك ؟ قال : لا جعلنى الله فداءك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم . ثم ذكر العمة ، والخالة ، وهو يقول : لا .. جعلنى الله فداءك . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال :

« اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه » فلم يكن شىء أبغض اليه[11] منه .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم حكمته ، وموعظته الحسنة فى مواقف كثيرة ، نذكر منها ما رواه الصحابى معاوية بن الحكم رضى الله عنه قال :

بينما أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلت : «يرحمك الله» ، فرمانى القوم بأبصارهم فقلت : ثكلتكم أمهاتكم ، ما شأنكم تنظرون الى ، فجعلوا يضربون أفخاذهم ، فلما رأيت أنهم يصمتونى سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبى هو وأمى ، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما قهرنى ، ولا ضربنى ، ولا شتمنى ، وانما قال :

---

(11) أى من الزنا ، والحديث رواه أحمد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » .

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ :

لقد تدبرنا آيات الله الكريمة التى تعرضت لرحمته صلى الله عليه وسلم ، ورأينا كيف تمثلت فى رحمته بأسرته وخدمه ، كما وأننا رأينا آيات الله الكريمة متمثلة فى عفوه عن المسيء من أصحابه وأعدائه ، وفى استغفاره لمن تجاوز حده فى قوله وفعله ، وفى مشاورته لأصحابه فى حربه وسلمه ، والامتثال لأمر الجماعة فيما يتصل بأمور دنياهم .

كما واننا تعرضنا لآيات الله التى بينت له سبيل الدعوة الى الله ، ورأينا المنهج الربانى متمثلا فى أسلوب دعوته لم يحد عنه قيد أنملة .

ولقد جمعت آية فى القرآن الكريم كل ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من خلق فاضل فى قوله تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[١٢] .

وحتى نرى أخلاقه القرآنية رأى العين : نتعرض الى قيمة

---

(١٢) القلم : ٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلقية أو أكثر حتى يتبين لنـــا التزامه الخلقي بهــدى القرآن الكريم ، وليكن ما تندبره هو حلمه صلى الله عليه وسلم .

كان الحلم من أخلاقه الكريمة التى تحلى بها . وكان فى حلمه القمة التى ترنو اليها النفوس لتنال من هذا العطاء الربانى ما ييسر لهـــا سبل التعامل مع ذوى الطبائع والأخلاق والعادات المتباينة ...

لقد فاق فى حلمه كل وصف ... وسما به وارتقى الى اسمى مراتبه ... والا فأين ذلك الحليم الذى يدنس له عدوه أقدس مقدساته ... فلا ينتقم منه ... ولا يغضب ولا يثور ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ... بال أعرابى فى المسجد ... فقام الناس ليقعوا فيه ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ... دعوه ... وأريقوا على بوله سجلا من ماء (أو ذنوبا من مـــاء) فانمـــا بعثتم ميسرين ... ولم تبعثـــوا معسرين »[13] .

... وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم « الصدق » ... وقد تحلى بهذه الصفة الكريمة فى صباه .. وفى شـــبابه ... وفى كهولته ... تحلى به وبغيره من مكارم الأخلاق .

---

(١٣) رواه البخارى .

... وكان لهذه الفضيلة السامية أثرها القوى الذى أبطل افتراء المشركين ... ذلك أن صدقه قبل بعثه كان حجة مفحمة لصدقه فى دعوة قومه الى ربهم ... ولو كان كاذبا — وحاشا لله أن يكون — لكذب على النـاس ولمـا التزم الصـــدق فى حياته كلهـا .

... لقد صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ، ونادى القبائل حتى اجتمعت ، ودعا قومه الى الاسلام وقـال : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ... أكنتم مصدقى ؟! ... فأجابوه قائلين : ... نعم ... ما جربنا عليك كذبا قط ... فقال لهم : « ... فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... » .

وكان صلى الله عليـه وسـلم يرى الصـدق سـمة من سمات المسلم ..وعنصرا من عناصر شخصيته ، لا تفارقه فى أحواله كلهـا ...

وكان يلتمس العذر للمسلمين بحكم بشريتهم الخطاءة ... ونفوسهم الأمارة بالســوء ... وضعفهم البشرى ..

كان صلى الله عليه وسلم يلتمس العذر لنقائصهم الخلقية ... وآفاتهم النفســية .. الا أنه كان لا يعـذر أحـدا من المسلمين فى الخيانة والكذب كما بين ذلك فى حديثه الشريف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيـانة . . . . والكذب »[١٤] .

... كما وأنه كان يمقت من تخلق بهذه الصفة كما حدثتنا بذلك عائشـة رضى الله عنها وقالت : « .. ما كان من خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ... ما اطلع على أحد من ذاك شيئا فيخرج من قلبه حتى يعـلم أنه قد أحدث توبة »[١٥] .

... كان صلى الله عليه وسلم لا يعذر الناس فى صـفة الكذب . ولا يقبل فيه تبريرا حتى ولو ادعى المسلم فى كذبه بالمزاح .. بل الأكثر من هذا أنه بين فى حـديثه الشريف أن الكذب فى المزاح ينال من ايمان المؤمن وينتقص منه .

وفى هذا المعنى .. قال : « لا يؤمن العبـد الايمان كله حتى يترك الكذب فى المزاح »[١٦] .

.. ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث آخر ، بين فيه منزله الصـدق عند الله ... وجزاء الصـادق

---

(١٤) رواه احمد .
(١٥) رواه احمد والبزار واللفظ له .
(١٦) رواه احمـد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى دنياه ... وأخراه ... وثوابه عند ربه يوم يلقاه ، وقال « ان الصدق يهدى الى البر ... وان البر يهدى الى الجنة ... ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ... وان الكذب يهدى الى الفجور .. وان الفجور يهدى الى النار ... وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا »(١٧) .

ومن هاتين الصفتين الكريمتين التى تحلى بهما « الحلم » و « الصدق » ... وغيرهما من مكارم أخلاقه : نرى كيف تمثلت فى أخلاقه آيات ربه فى قوله تعالى : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ ...

... وحقا .. ما قالته عائشة رضى الله عنها ، لما وصفت أخلاقه صلى الله عليه وسلم وقالت : « كان خلقه القرآن » ...

والقرآن الكريم كان ... شفاء ورحمة ونورا ، هدى الله به القلوب ... فأشرقت بنور ربها ... ومحى الله به ظلمات النفوس ... فاهتدت بهديه ...

قال تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾(١٨) .

.... والمصطفى صلى الله عليه وسلم ـ وقد تخلق بأخلاق القرآن ـ كان بمكارم أخلاقه ... وفضائل أعماله رحمة للعالمين ...

---

(١٧) رواه أحمد .

(١٨) الاسراء : ٨٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعـــالى :

﴿ يا ايهـا النبى انا ارســـلناك شـــاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضــــلا كبيرا ﴾ .

(الأحزاب : ٤٥ ــ ٤٧)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امـة مؤمنة واخرى كافرة

••• لقد حملت الأمة العربية مشاعل الحضارة الاسلامية فى مشـــارق الأرض ومغاربها بعـد أن تآلفت القبائل وتآخت وتراحمت ••• وصارت أمة لها قاعدتها فى الحياة ••• ولها غايتها النبيلة فى الدنيا والآخرة ••• ولها مثلها العليا ••• وقيمهـا الاجتماعية التى لم تر الانسانية حضارة تماثلها فى الحضـارات التى سبقتها ، ولا فى التى تلتها •

••• ذلك لأنها حضارة كرست نظامها الاقتصادى • • • والسياسى ••• والاجتماعى لسـعادة الانسان وأمنه مع نفسه ••• ومع أسرته ••• ومجتمعه •••

ولو تدبرنا سر أزدهار الحضارة الاسلامية لوجدناه فى تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفرد والجماعة ••• حتى تربت على مبادىء الاسلام السامية •

••• تعهـد الفرد فى يقينـه بربه ••• وقوة ايمانه ••• وصدقه فى الدعوة الى الله •••

وتعهد جماعة المسـلمين ورعاها حتى صـاروا فى سـنين معدودات قادة الدنيا وسادتها ••• وأقاموا هـذه الحضـارة السامقة على دعائم الحق ••• والهدى •• والنور •••

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... ولعل خير سبيل ندرك به رحمة الله بأمه العرب ... ويد الرسول الرحيمة التى أخذت بأيدى هـذه القبائل حتى صارت أمة راقية تهدى الناس ...

لعل خير سبيل لهذا هو آن نقابل بين حياتين .... حياة العرب قبل الاسلام ... وحياتهم بعده ، لنرى آثار رحمـة الله للعالمين بالعرب لمـا استنت بسنته ... واقتدت به ... واهتدت بهديه .

حيـاة العرب قبـل الاسـلام :

... عاشت العرب قبل الاسلام بعقيدة فاسدة ... وبنظام قبلى مدمر ، وبعادات اجتماعية قاتلة .

أما عقيدتها الفاسدة فقد شرعت لهـا السـدنة ، وزينت الباطل حقا ، والشرك ايمانا ، وعبادة الأصنام دينا . فضلت عن سواء الصراط ، وطافت حول الطواغيت ، وأهدت لهـا . وغيرت وبدلت فى الحنيفية التى جاء بها أبو الأنبيـاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

أما عاداتها ، وقيمها الجاهلية ، وعلاقاتها ، ومعاملاتها ، وحياتها الاجتماعية ، فكانت وبالا على الفرد والجماعة ، وخسرانا مبينـا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحسبنا دليلا على ذلك وأد البنات اذا بلغن سن الزواج ولم يتزوجن . فقد كانت هذه العادة فى عرف المجتمع شرفا وفخارا ، وهو فى حقيقة الأمر ، وعرف الانسانية ذلة وعار .

وكانت الأسرة وهى تقر هذه العادة المدمرة لكل قيمة خلقية ، وعلاقة اجتماعية ، تقضى على أسمى علاقة فى الوجود ، وأنبل عاطفة فى الأسرة . تلك هى عاطفة الرحمة والمودة ، والحب والألفة ، والرفق والتعاطف .

حقا لقد كانوا يدفنون الغاية التى تكونت لها الأسرة ، ويهيلون التراب على المودة والرحمة التى بينتها آيات الله البينات فى قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

لكن القلوب القاسية ، والنفوس المظلمة ، والعقول المريضة زينت المنكر معروفا ، والباطل حقا ، فاتبعوا أهواءهم ، وانقادوا لشيطانهم كما بينت ذلك آيات الله فى قوله تعالى :

﴿ واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾[2] .

---

(١) الروم : ٢١ (٢) النحل : ٥٩ : ٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الحياة القبليه فقد أودت بكل علاقه كريمة ، وبكل معاملة حسنة بين الفرد والجماعة ، فكان البطش والبغى والعدوان من سماتها ، والسلب والقتل وهتك الأعراض من دعائم كيانها .

فلا غرابة أن نرى المرأة الجاهلية وقد أنكرت أنوثتها ، ورقة مشاعرها ، وتطبعت بما أوحت اليها آلهتها اللات ، والعزى وهبل ، فصارت مثلها لا تبصر ، ولا تسمع ، واستبدلت رقة قلبها بقسوة الحجارة التى عبدتها ، وسبحت بحمدها .

ولا عجب أن نرى هند بنت أبى سفيان تبقر بطن سيد الشهداء حمزة ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وتلوك كبده بأسنانها فى غزوة « أحد » .

وناهيك عن مجتمع هذا شأن نسائه ، فما بالك برجاله ، وما أمره فى حربه وسلمه ، وغناه وفقره ، وقوته وضعفه ، وفى الحاده وكفره وشركه .

ولعلنا لن نحتاج الى من يبين لنا فضل الاسلام على العرب ، ولا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخرجهم من ظلمات الجاهلية الى نور الرحمة الالهية .

لن نحتاج الى جهد نبذله لندلك على ذلك ، ولكن حسبنا أن نرى كيف تبدلت قسوة قلب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه رحمة ، وألفة ، ومودة بعد اسلامه ، وكيف خرج من المسجد يسأل عن بكاء طفل رق له قلبه ، ويحاور أم الطفل عن سر بكائه هذا الحوار :

عمر : ويحك • انى لأراك أم سوء ، لماذا يبكى ابنك ؟!

الأم : اسأل عمر بن الخطاب •

عمر : وما شأن عمر بن الخطاب ببكاء ابنك ؟

الأم : انه يبكى هكذا منذ أربعة أيام ، لقد فطمته وهو لم يكمل الحول •

عمر : لماذا فطمته ؟

الأم : لأن عمر بن الخطاب لا يفرض فى بيت المال الا للطفل الفطيم •

فاذا بعمر يرق قلبه ، ويأمر منا ديا ينادى فى الناس بأن لا يمنعوا أطفالهم من الرضاع لأنه سيفرض لكل مولود ، والأسمى من ذلك أن يرق قلبه ولا يدع أحدا من أمة الاسلام ليجرح مشاعر لقيط ظلمه أبواه ، ونبذاه دون رحمة ولا شفقة خوفا من الفضيحة والعار ، فكان لا يفرض لمن يتكفل بتربية اللقيط الا بعد أن يقسم أمامه بأن لا يجرح مشاعره ، ولا يؤذيه اذا كبر ، ولا ينال من كرامته ولا يخبره بأنه لقيط •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعمر الذى حفظ للقيط آدميته ، وأبى هوانه وذلته ، وأخذ على كفيله العهد أن لا يخبره بحقيقة أمره لما يبلغ أشده ، كان قبل اسلامه قاسى القلب ، فظا غليظا ، لا يحن لكسير الخاطر ، ولا لفقير ، وكان يضرب جارية بنى مؤمل لما أسلمت ضربا مبرحا دون شفقة ، ولا يضع السوط من يده الا بعد أن يمل من ضربها وهو يقول : ما تركتك الا ملالة .

وتبدو لنا صورة عمر بعد اسلامه مناقضة لصورته فى الجاهلية ، لأن رحمة الله لما هلت بشائرها بمبعث الرحمة المهداة ، لانت القلوب ورقت ، وحسنت الأخلاق وسمت ، وصارت أمة العرب فى أخلاقها ، ومعاملاتها ، وتوادها ، وتراحمها مرآة ترى فيها الانسانية مبادىء الاسلام السامية .

جعفر بن أبى طالب والنجاشى :

ان السمو الوجدانى ، والرقى الخلقى ، والتآلف الروحى بين المسلمين ليزداد وضوحا ان عرفنا ما قاله سيدنا جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى مبينا فضل النبى صلى الله عليه وسلم على العرب ، ومقارنا بين حياتين متقابلتين ، حياة جاهلية كحياة الأنعام أو أضل سبيلا ، وحياة بعد الاسلام كرمت الانسان وشرفت الانسانية بقيمها ، ومثلها ، وعزتها .

قال جعفر للنجاشي :

« أيها الملك ... كنا قوما أهل جاهلية .. نعبد الأصنام ونأكل الميتة ... ونأتي الفواحش ... ونقطع الأرحام .. ونسيء الجوار ... ويأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا .. نعرف نسبه ... وصدقه .. وأمانته ... وعفافه .. فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ... ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .... وأمرنا بصدق الحديث ... وأداء الأمانة .. وصلة الرحم .. وحسن الجوار ... والكف عن المحارم والدم ... ونهانا عن الفواحش ... وقول الزور ... وأكل مال اليتيم ... وقذف المحصنات ... وأمرنا أن نعبد الله وحده ... ولا نشرك به شيئا ... وأمرنا بالصلاة ... والزكاة ... والصيام ...

كانت حياة العربى قبل الاسلام لا تمت الى الآدمية بصلة ... أما حياته بعد الاسلام ... فتبدو لنا من خطبة جعفر رضى الله عنه حياة راقية ... وعلاقات مع مجتمعه كريمة ... والتزام مع النفس بكل معانى الخير ... وعبادة صحيحة علمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها رب العزة والجلال ..

وتبدلت الأحوال .. لما أسلم العربى نفسه وماله وولده

لربه .. ابتغاء مرضاته ... فصار يلهج بالثناء على ذاته العليا ... ويدعو ربه بأسمائه الحسنى ... يدعوه شافيا ... ومحييا ومميتا .. ويدعوه .. هاديا .. ورازقا جواد كريما .. ويدعوه قويا عزيزا .. شديد العقاب ... غفورا رحيما ..

لقد امتزجت روحه بآيات الله .. وصارت فى شفافيتها تلهج بحمد الله ... فى خشوع ... وتتضرع الى المغفرة والرحمة والرضا والرضوان ... ويتردد فى قلبه صدى قوله تعالى :

﴿ ... الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ﴾[٣] .

لقد اطمأنت النفس بكتاب ربها . بعد أن كانت من قبل ثائرة تموج وتضطرب بما يمليه عليها شيطانها ... كما بشرها بذلك رسولها صلى الله عليه وسلم وقال :

« ... ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله .. يتلون كتاب الله ... ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ...

---

(٣) الشعراء ٧٨ ـ ٨١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغشيتهم الرحمة •• وحفتهم الملائكة ••• وذكرهم الله فيمن عنــده »[٤] •

••• هـــذه الســـكينة التى تنزلت على العربى بعــد اسلامه ••• والرحمة التى تغشـــته •• لازمتــه فى صحته •• ومرضه ••• فى قوته وضعفه ••• فى غناه وفقره ••• وفى يقظته وفى منامه •• فقــد اهتدى بهدى نبيه ••• وعبر عن ســكينة نفســه ••• وهو يقول حين ينام •• كمــا علمه رسوله صلى الله عليه وسلم :

« ••• اللهم أســلمت نفسى اليك ••• ووجهت وجهى اليــك ••• وفوضت أمرى اليــك ••• وألجــأت ظهــرى اليك ••• رغبــة ورهبة اليــك •• لا ملجأ ولا منجى منــك الا اليــك ••• آمنت بكتابك الذى أنزلت ••• ونبيك الذى أرســلت »[٥] •

••• هذا شأن العربى بعد اسلامه فى منامه ••• فما شأنه فى يقظته ••• وفى يسره وعسره •

••• انه يأخــذ بالأسباب ان أصابته ملمــة ••• ويدع الأمر لله •• يفعل به ما يشــاء •

---

(٤) رواه مســلم .　　　　(٥) رواه البخارى .

... وهو فيما يفعله .. يتبع نبيه . الذى أسلم نفسه لربه لما دعا ثقيف الى الله فى الطائف .. فكذبه سادة ثقيف ... وأغروا صبيانهم وسفهاءهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة .. فلجأ الى ربه يشكو ما فعله القوم به ... ويطلب رحمته ومغفرته ويقول : « ... اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ... وقلة حيلتى ... وهوانى على الناس .. يا أرحم الراحمين ... أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. الى من تكلنى ... الى بعيد يتجهمنى ... أم الى عدو ملكته أمرى ... ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى .. ولكن عافيتك هى أوسع لى .... أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات .. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل على غضبك ... أو يحل على سخطك ... لك العتبى حتى ترضى ... ولا حول ولا قوة الا بالله .... » .

واستنت العرب بهذه السنة الحميدة ... واقتدت بهذه القدوة الصالحة لما أسلمت روحها الى بارئها فى كل أمر من أمور حياتها .

... لكن العربى بعد اسلامه وهو يفعل ذلك أدى ما ألزمه به ربه ... فحفظ عهده وميثاقه معه ... فأسلمت مع نفسه .. ومع قلبه ... جوارحه ... فهو بهذا الأمن والأمان النفسى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... وبهذه السريرة الطـاهرة .. والقلب المطمئن حفظ لســانه من كل فحش ... وجوارحه من كل خطيئة .. فحفظه ربه ... كما بشره بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف الذي رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا غلام انى أعلمك كلمات · احفظ الله يحفظك ... احفظ الله تجده تجاهك ... اذا سألت فاسأل الله ... واذا استعنت فاستعن بالله ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ... وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قــد كتبه الله عليك ... رفعت الأقلام ... وجفت الصحف »(٦)

* * *

---

(٦) رواه الترمذى .. وقال حديث حسن صحيح ...


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

« ونفس وما سـواها . فالهمهـا فجورهـا وتقواها .
قـد أفلح من زكاهـا . وقد خاب من دسـاها » .

(الشمس : ٧ ـ ١٠)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس النقيـة

... لقد ارتقت نفس العربى بعد اسـلامه ... وسمت .. واهتدت .. وعادت الى فطرتها السوية التى فطرها الله عليها ... وأشرقت بنور ربها ... ونبذت كل نقيصة تشينها .... وتطهرت من عللها وأمراضها ... والتزمت بمكارم الأخلاق التى دعاها اليها نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ... اياكم والظن .. فان الظن أكذب الحديث ... ولا تحسسـوا ... ولا تجسسـوا ... ولا تنافسـوا ... ولا تحاسـدوا ... ولا تباغضـوا ... ولا تدابروا .. وكونوا عبـاد الله اخوانا ... المسـلم أخـو المسـلم ... لا يظلمـه ... ولا يخـذله ... ولا يحقـره ... التقـوى هاهنـا ... التقوى ها هنا ـ وأشـار الى صدره الشريف ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخـاه المسـلم ... كل المسلم على المسلم حرام : دمه ... وعرضه ... ودينه »[1] .

... رأت الصحابة رضـوان الله عليهم التقوى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ورأوا الطهارة والنقاء ... ورأوا صـفاء النفس وهو يوجه الناس ويرشـدهم .. ويحذر من

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم واللفظ له . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوغر صــدره بما حــدث بينه وبين من حــوله ... كمــا قال فى حديثه الشريف : « ... لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصــحابى شــيئا ... فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصــدر »[٢] .

.... ثم أراهم صــفاء النفس ... ونقاء السريرة فى غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

... لقد رأوا بأعين رءوسهم أن الأعمال بالنيات وأن من أخلص وصدق ربه فله حسن الثواب .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « ... كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنــة ... فطلع رجــل من الأنصار تنطف[٣] لحيته من وضــوئه وقــد علق نعليه بيده الشمال ....

قال أنس رضى الله عنه : ان الرســول صلى الله عليــه وسلم قال ذلك ثلاث مرات ... فلم يكن الا ذلك الرجل ... فلمــا قام الرجل تبعه عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ، وقال له :

« ... انى لاحيت أبى[٤] فأقسمت أن لا أدخل ثلاثا ... فان رأيت أن تؤوينى اليــك حتى تمضى فعلت .

---

(٢) رواه أبو داود . (٣) تقطر ماء .
(٤) خاصمت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه بعـــد أن بات معـــه ثلاث ليـــال انه لم يره يقوم من الليل شـــيئا ، غير أنه اذا تعار(٥) .. ذكر الله عز وجل حتى صـــلاة الفجر وانه لم يسمعه يقول الا خيرا ، حتى كاد عبد الله بن عمرو رضى الله عنـــه أن يحتقر عمله .. وســـأله عن الذى بلغ به ما قاله رســـول الله صلى الله عليه وسلم ... قال الرجل : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا أجـــد فى نفسى لأحد من المسلمين غشـــا .. ولا أحسد أحـــدا على خير أعطاه الله اياه ... فقال عبد الله رضى الله عنـــه : هـــذه التى بلغت بك » .

... ثم مضى رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم يرقى بالنفس البشرية ... ويسمو بها ... حتى كاد الصحابى أن يشم عرف(*) الجنة لمـــا خشى ربه واتقاه ... وحتى كادت النار تلفحه بلهيبها ان خالفه وعصاه .

... روى الطبرانى أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك الأنصارى : كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت بحمد الله مؤمنا حق الايمان ..

قال : انظر ماذا تقول يا حارثة ؟ .. وما حقيقة ايمانك ؟!

---

(٥) بالراء المتشددة المفتوحة ، استيقظ من الليل .
(*) بفتح العين : الرائحة .

فال حارثة : لقــد عزفت نفسى عن الدنيا ••• وأقبلت على الآخــرة ••• فأســهرت ليلى •• وأظمــأت نهارى ••• فصرت كأنى أنظر الى عرش ربى بارزا ••• والى أهل الجنة فى الجنــة يتزاورون ••• والى أهل النار فى النار يتضــاغون ويبكون •••

ففال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

••• لقد عرفت يا حارثة فالزم[٦] •

••• ولعل فيما فعلته المرأة العربية التى اتبعت هواها •• لدليــلا على أن النفس التى تعهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتربيتها لم تعد ترضى بالخطيئة ••• فان أضلها شيطانها باتت تلوم صاحبها ••• وتنغص عليــه أمنــه حتى تتطهر كمــا أراد لها نبيها صلى الله عليه وسلم •

••• عن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من جهينة أتت رســول الله صلى الله عليــه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت :

« •• يا نبى الله أصبت حــدا فأقمــه على ••• فدعــا

---

(٦) رواه الطبرانى •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها ... فقال : أحسن اليها .. فاذا وضعت فأتنى بها ... ففعل ... فأمر بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ... فشكت عليها ثيابها ... ثم أمر بها ... فرجمت ثم صلى عليها ...

فقال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت ... قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ... وهل وجدت توبة أفضل أن جادت بنفسها لله تعالى[7] .

النفس المطمئنة وفتنة المال :

... اطمأنت النفس لما سقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيض رحمته ، وبعث فيها الرضا بما قسمه الله وقال :

« من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »[8] .

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصى أتباعه بالقناعة ويقبل هو على الدنيا — وحاشا أن يفعل ذلك

---

(٧) رواه مسلم .

(٨) رواه الترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رســول الله صلى الله عليه وسلم ـ بل كان فى بيتــه ، ومع أهله مثلا للقنــاعة ، والزهد ، والرضــا بما قســمه الله له .

وحسبنا دليلا على ذلك ما تركه بعــد أن لحق بجــوار ربه وهو الذى كانت تأتيه الغنائم وأموال الزكاة ، والذى دانت له جزيرة العرب كلها ، وأسلمت قيادها ، بعد أن اهتدت بهدى نبيهــا .

لقــد ترك صلى الله عليـــه وسلم درعه مرهونة عنــد يهودى ، كمــا تروى ذلك أم المؤمنين رضى الله عنها .

عن عائشـــة رضى الله عنهــا قالت : توفى رســول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهــونة عنــد يهودى فى ثلاثين صــاع من شــعير »[٩] .

وما أعمق ايمان العبد المسلم الذى تشرى نفسه ، فلا يطمع فى ما لا حــق له فيــه ، والذى لا يعــد المــال غاية يسعى اليها ، والذى صــدق فيه قول الرســول صلى الله عليه وسلم :

« ليـــس الغنى عن كثرة العــرض ، ولكن الغنى غنى النفــس »[١٠] .

---

(٩) متفق عليه .

(١٠) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أن النفس ان لم تغنى بايمانها فترضى بما من الله عليها ، ظلت فقيرة أبـد الدهـر ، ولو ملكت الدنيـا بذهبها وفضـتها •

ولعلنـا لو نظرنا حولنـا لرأينا المـال غاية النـاس فى عصرنا الحاضر الذى اتسم بالمـادية فى أمور حياتها كلها حتى كادت فتنة المـال أن تقوض دعائمها ، فتنهار على رءوس عبـاد المـال ، كما انهارت الحضارات التى سبقتها •

ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان يربى النفوس الجشعة كما تربى الأم طفلها الرضيع ، وفى نصائحه للصـحابى حكيم بن حزام رضى الله عنـه خير دليـل على ذلك •

••• قال حكيم بن حزام رضى الله عنه : سـألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ••• ثم سـألته فأعطانى ••• ثم سـألته فأعطانى ••• ثم قال : « يا حكيم ••• ان هذا المـال خضر حلو ••• فمن أخـذه بسخاوة نفس بورك له فيـه ••• ومن أخـذه باشراف نفس لم يبارك له فيـه • • وكان كالذى يأكل ولا يشـبع ••• واليد العليا خير من اليـد السفلى » •

قال حكيم : فقلت يا رسـول الله والذى بعثك بالحـق لا أرزأ أحـدا بعـدك شـيئا حتى أفارق الدنيا •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

•• وكان أبو بكر رضى الله عنـــه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبـــل منه شيئا •

••• ثم ان عمر رضى الله عنـــه دعاه ليعطيـــه فأبى أن يقبله فقـــال :

« يا معشر المســلمين أشـــهدكم على حكيم ••• انى أعرض عليـــه حقه الذى قســـمه الله له فى هــذا الفىء فيأبى أن يأخـــذه • فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفى »[11] •

وكان لهذه النفس النقية الراضـــية المطمئنـــة التى عرفت عظمة ربها وجبروته ••• واطمأنت لرحمته ومغفرته وجناته ••• أثرها فى العلاقات الاجتماعية ••• فصاحبها ان عمـــل خيرا فى دنياه : لا يبغى الا رضـــا مولاه •••• لالتزامه فى ذلك بالحديث القدسى :

••• عن أبى هـــريرة رضى الله عنـــه •••• قال ••• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ••• ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : •••• يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى ؟ ••• قال : يارب كيف أعودك وأنت رب

(11) متفق عليه •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالمين ؟! قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض ولم تعده ... أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ ... يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ... قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! .. قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ ... أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ .. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ؟! ... قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟! ... قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ... أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى(١٢) .

وتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النفوس المظلمة التى أضلها الشيطان فأشرقت بنور ربها لما ألهمها ربها تقواها فآتت أكلها : صدقا ، ووفاء ، وكرما ، واحسانا ... وأثمرت برحمة ربها عملا صالحا ، وايمانا كاملا ، ويقينا صادقا ... وتآلفت زوجا وزوجة ، وولدا وخدما ، ورحما وجارا ...

... وصارت الأسرة المسلمة آية من آيات الله ... ونواة لمجتمع اسلامى قام على دعائم الحق والهدى ، والبر والتقوى ، والتعاون والجهاد ...

* * *

---

(١٢) رواه مسلم .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿ ... ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجـا لتسـكنوا اليهـا وجعـل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

(الروم : ١١)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسـرة المسـلمة

رحمة الله للعالمين والاسر المسـلمة .

تعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء النفوس على هدى مبادىء الاسـلام السـامية ، فتآلفت وتحابت وصارت بنعمة الله اخوانا ، ومن هـذه القلوب المشرقة بنـور الله ، والنفوس التقية بفضل الله تكونت الأسرة المسلمة .

والأسرة المسـلمة آية من آيات الله بتراحمهـا وتآلفها وتعاونها على ما فيـه الخير لها ولمن حولها .

فالزوج مظلة يقى زوجته قيظ الحيـاة ، فتنعم معه بطيب العيش وتنهل معه من أسمى معانيها مودة ، وألفة ، ورحمة .

وهو درعها التى تتقى به غـدرات الزمان ، ومنغصـات الحيـاة ، وهو الذى يحمى زمارها ، ويصون كرامتها ، ويمهد لهـا سبل العيش الآمنة لتمضى معه حياتها فى هناءة البـال ، ورغـد العيش .

وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسـنة لمن عاصره ، ومن جاء بعده ، وسيظل أسـوة حسنة للانسـان حيث كان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتراحمت الأسرة وتآلفت وتحابت .. لما اقتدت برحمة الله فى معاملته لزوجه وولده وخدمه ومواليه ، فاستقت الأسرة المسلمة من نبع الرحمة الفياض ، واتبعت أثر النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مع أسرته شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .

رحمة الله للعالمين وأمهات المؤمنين :

وكانت رحمته التى بعثه الله بها للعالمين من أهم دوافعه فى زواجه صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين .

فقد تزوج « سودة بنت زمعة » رضى الله عنها بعد موت زوجها ليعولها . وكان زوجها من السابقين فى الاسلام .

وتزوج « أم سلمة » رضى الله عنها بعد موت زوجها اثر جراحه فى غزوة « أحد » ليعولها هى وأولادها .

وتزوج أم حبيبة « رملة بنت أبى سفيان » رضى الله عنها ، وكانت ممن أسلموا وهاجروا الى الحبشة ... وهناك تنصر زوجها ... وتركها فريسة الخوف من عقاب أبيها ان عادت الى مكة المكرمة ... والخشية من الغربة دون زوج وولد ومال ان بقيت فى الحبشة ... فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنها من انتقام المشركين ان عادت ... أو آلام غربتها ان آثرت البقاء فى الحبشة ...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتزوج صلى الله عليه وسلم « زينب بنت خزيمة » بعد أن استشهد زوجها عبد الله بن جحش رضى الله عنه فى غزوة « أحد » ... تزوجها وتكفل بها ، اذ لم يكن لها كفيل من قومها .

وتزوج صلى الله عليه وسلم « صفية بنت حيى » بعد أن هلك زوجها وأخوها ... وهلك معهم أبوها سيد بنى قريظة فى قتالهم المسلمين ... ووقعت فى سهم جندى لا يعلم عنها شيئا الا أنها أسيرة حرب ... فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحالها وخيرها بين أمرين ... اما أن يردها الى أهلها أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارته وآثرته على قومها وأسلمت ودخل بها مسلمة رضى الله عنها .

وتزوج « جويرية بنت الحارث » ... وكانت من سبايا غزوة « بنى المصطلق » ... فتزوجها بعد أن أعتقها ... فصارت من أمهات المسلمين بعد أن كانت أسيرة حرب لا يعلم مالكها من أمرها شيئا ...

ثم حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاقتداء به ، فأطلقوا سباياهم ... فأسلموا ... وحسن اسلامهم فكانت خيرا وبركة على قومها جميعا .

وتمثل قصده الكريم فى حياة أسرية متحابة متراحمة ... وكانت مثالا للأسرة المسلمة التى أرادها رسول الله صلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله عليه وسلم للمسلمين ، والتى اهتدى بها صحابته رضوان الله عليهم فأقاموا بدورهم أسرا متوادة متآلفة .

رحمة الله للعالمين وأهل بيته :

ان جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لتعبر أدق تعبير عن رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته وذلك فى حديثه الشريف الذى قال فيه : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى»(١) .

لقد كان صلى الله عليه وسلم خير العالمين لأهله ، وهو يعاونهم فيما يعملون ، ويرشدهم الى ما لا يعلمون ، ويغفر لهم ما يجهلون ، ولا يحملهم ما لا يطيقون .

ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها : « ما كان النبى يصنع فى بيته ؟ .. قالت : يكون فى مهنة(*) أهله ، فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة »(٢) .

كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف من عمل فى بيته ، وكان يخيط ثوبه ، ويخصف نعله .

وكان رفيقا بأهله ، وكان يوصى أهله بالرفق بأنفسهم وبمن حولهم .

---

(١) رواه أبو حبان .　　(*) بفتح الميم : راجع المختار .
(٢) رواه البخارى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن عائشه رضى الله عنها قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشـــة ارفقى فان الله اذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق »[٣] .

وكان الرفق سمة من سمات أسرة الرسول صلى الله عليه وســـلم ، وروحا ملائكية سرت فى تعاملهم وتعاطفهم .

وكانت الرحمة والمودة والألفة هى اللغـــة التى تتحدث بها أسرة الرســـول صلى الله عليه وسلم ... وقد انسابت من موردهـــا هينـــــة لينـــة فى مشـــــاعر الأسرة ، فاســـتقت من رحمـــة الله للعـــالمين لمـــــا رأته أمامهـــا نبعـــا فياضـــــا بالرحمة ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما ، الا أن يجاهد فى ســبيل الله ، وما نيل منـــه شىء فينتقم من صاحبه ، الا أن ينتهك شىء من محارم الله تعالى ، فينتقم لله تعالى »[٤] .

رحمة الله للعالمين وحادثة الافك :

ولم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرته على اليسير من أمور الحياة ، بل انه كان يســـع بقلبـــه الكبير الكثير من منغصاتها .

---

(٣) رواه أحمد والبزار .   (٤) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد رأت العرب .. وأمة الاسلام رحمته بأهله لما انطلقت ألسنة السوء تتهم أم المؤمنين رضى الله عنها مع صفوان بن المعطل فى عودتهما من غزوة بنى المصطلق .

ذلك أن أم المؤمنين تأخرت عن الركب وكان صفوان ابن المعطل خلف الركب ، فعاد بها الى المدينة المنورة ، وابتلى بيت النبوة بالقيل والقال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقال من أهل الافك والضلال على بيت طهره ربه واصطفاه ولا يجرح مشاعر أهله ولو بنظرة جارحة .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت حماقات البشر حتى تنزلت الرحمات من السماء تبرىء أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى :

« ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم »(٥) .

وكانت حادثة الافك عظة وعبرة لأمة الاسلام ، وترجمة

---

(٥) النور : ١١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صـادقة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال . « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

ذلك أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قد رحم بصبره على أقوال أهل الافك ، وحكمته فى معالجة أمره ، ورحمته بأهله المسلمين حتى لا يقيموا الدنيا لقالة خبيثة يطلقها فاسق ، يريد السـوء لأسرة متراحمة

ولقد امتزجت مشاعره بمشاعر أهله ، وصـار يرى بنور بصيرته ، ونقاء سريرته ، وصـفاء قريحته ، وسـمو نفسه ، ورقيه الروحى خلجات نفوسهم ، وهمسـات صدورهم ، فيتألم اذا تألموا ، ويفرح اذا فرحوا .

عن عائشـة رضى الله عنها قالت : قال لى رسـول الله صلى الله عليه وسلم « انى لأعلم اذا كنت عنى راضية ، واذا كنت على غضبى » فقلت : من أين تعرف ذلك ؟

فقال : « اذا كنت عنى راضية فانك تقولين : لا ورب محمد واذا كنت على غضبى . قلت : لا ورب ابراهيم .

قلت : أجل . والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك »(٦).

---

(٦) متفق عليه .

وصايا الشريفة للأسرة :

نالت الزوجة حظها من الرحمة ، وتعددت أحاديثه ، ووصاياه ، وخطبه التي تناول فيها الزوجة وبين فيها للزوج ضعفها ، ودعاه الى الرفق في معاملتها ، واضعا في اعتباره طبعها ، ورقة مشاعرها .

قال صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وان أعوج ما في الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا »(٧) .

وذكرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بطبعنا الذي لازمنا منذ بدء الخليقة ، والذي نالت المرأة منها ــ بحكم جنسها ــ منه الحظ الأكبر .

ذلك أن ابن آدم خطاء بطبعه ، والمرأة أكثر خطأ من الرجل لذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الزوج ليضع هذا النقص في اعتباره ان أخطأت زوجته ، ويذكر لها ما قدمته له من طيب القول وصالح العمل .

---

(٧) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأوصاه بأن يزن أعمالها .. ويضع فى كفة ميزانها حسناتها وسجاياها الحميدة ان أثارته يوما ما نقيصة يأباها .

... عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك[8] مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر ، أو قال : « غيره »[9] .

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الزوجة على زوجها ، وحدث بان من أولى حقوقها النفقة عليها ... وقيامه بشئونها ...

عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ .. قال « أن تطعمها ان طعمت ... وتكسوها اذا إكتسبت ... ولا تضرب الوجه .. ولا تقبح .. ولا تهجر الا فى البيت »[10] ....

.... وللزوج حقه الذى بينته الأحاديث الشريفة .. هذا الحق الذى ان التزمت به الزوجة دخلت الجنة كما بشرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

---

(٨) يبغض .
(٩) رواه مسلم .
(١٠) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« اذا صلت المرأة خمسها ... ، وحصنت فرجها ... وأطاعت بعلها ... دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت »[11] .

ثم كان هذا الحديث النبوى الشريف الذى بين فيه مقام الزوج .. والذى لا يعلوه مقام ... ولا تعلوه منزلة ، والذى ان التزمت به الزوجة كانت ريحانة حياته ... وسكينة نفسه ... وطمأنينة قلبه ... فلا تقع عينه ... ولا أذنه منها على قبيح يؤذى مشاعره ... ويعكر صفو حياته ...

هذا الحديث الشريف الذى وضعه الاسلام وساما على جبين المودة والألفة والطاعة والمحبة بين الزوج وزوجه ، والذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »[12] .

رحمة الله للعالمين واختيار الزوجة الصالحة :

ان الأسرة المتعاطفة المتراحمة المتآلفة المتعاونة لبنة صالحة لصرح اجتماعى شامخ ، غايته الأولى سعادة البشر فى الدنيا والآخرة ....

---

(١١) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(١٢) رواه الترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـذه الأسرة لم تكن لتلتقى الا على دعائم من الرضا والقبول والوفاق النفسى والروحى ... وعلى أسس تتفق وطبيعة البشر وتكوينهم الثقافى .. وعاداتهم .. وأخلاقهم ... وطبقاتهم الاجتماعية وميولهم وأمزجتهم المختلفة .

... لذلك دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نختار المرأة التى نبنى معها الخلية الأولى للمجتمع .. فان صلحت صلح المجتمع كله ، وان فسدت فسد المجتمع كله ...

ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته الا على بينه من الأمر ... فأوصاهم باختيار الزوجة التى ترغب المرء نكاحها وبين لهم السبيل الى ذلك وقال : « اذا خطب أحدكم المرأة ، فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل »(١٣).

... ولأن ما يدعو الزوج الى نكاح المرأة يختلف من فرد الى آخر .. لاختلاف الميول والأفكار ..

ولأن الأرواح منها ما تأتلف ... ومنها ما تختلف ... لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه السبيل الى المفاضلة لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، والتى تدعو الرجل الى اختيار زوجته فقال : « ... تنكح المرأة لأربع لمالها ... ولحسبها ... ولجمالها ... ولدينها ... فاظفر بذات الدين تربت يداك »(١٤) ....

---

(١٣) رواه مسلم وأبو داود ، والحاكم ، والبيهقى .

(١٤) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل الى اختيار الزوجة ذات الدين الا لأسباب بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ... وذكر فيه ... أن ما دون الدين وهم زائل ... وظل غير وارف ... وفتنة وغواية وضلال ..

... فالمال وقد يفتن به الرجل ويختار به زوجة قد يكون فيه الخسران المبين ... وقد يكون فيه الفساد والافساد الخلقى ...

ذلك أن وظيفة المال في الاسلام بينتها آيات الله البينات ... وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ... فهو أولا وأخيرا مال الله ... ووسيلة لتحقيق غاية ... وليس غاية في ذاته ...

فان جعلنا الوسيلة غاية صارت وبالا .. وهلاكا ... وخسرانا مبينا ...

والجمال .. وقد يختار به الرجل زوجة قد تفتن به المرأة عن زوجها ... وترد به موارد الرذيلة ان لم يكن مع الجمال تربية وخلق ودين وضمير يقظ يصونه ويحميه ...

وهو مع هذا ظل زائل ... وعرض له أجل محدود يصير بعده وكأن لم يكن ...

لهذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء العاقبة ان جعلنا المال أو الجمال غاية ... وقال : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ... ولا تزوجوهن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ... ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل »(١٥) .

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يهدينا الى خير السبل فى اختيار الزوجة الصالحة انما يعنى صلاح الأسرة ، فالمجتمع .

فالزوجة ذات الدين غرس لا يثمر الا خيرا ... فهى تعامل زوجها وترعاه فى حله وترحاله .. وتحفظه فى عرضه وماله ، وتربى أولاده على البر والتقوى من منطلق الطاعة لمن لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ..

ومن هذا شأنها تؤتى بفضل ربها ثمار اخلاصها بنين وبنات يعرفون حق الله وحق الوالدين وحق المجتمع والانسانية ، ويسهمون فى اعلاء كلمة الله فى قولهم وفعلهم ... ويلتزمون بما أمرهم به ربهم حتى يلقوه راضين مرضيين باذنه ومنه ...

ان الزوجة الصالحة لهى المدرسة الأولى التى تستقبل هذه القلوب الخضراء .. وهذه الأرواح الطاهرة .

... وهى التى تخط بقلبها الطاهر ... وقولها الطيب ... وسلوكها القويم أول كلمات تهدى الصغير الى طريق الهدى والصلاح ...

وهى التى تزيد زوجها هدى ان رأته يترسم خطى نبيه ويلتزم بآيات ربه ... وتقومه برقتها ... وصفاء سريرتها ان اتبع هواه ... وضل سعيه وآنسته دنياه أمر أخراه ...

(*) رواه ابن ماجه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أختيار الزوجة لحسبها أو لعزها فى قومها سراب ووهم وباطل ، وقال فى حديثه ، « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا •• ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوجها لم يرد بها الا ان يغض بصره ••• ويحصن فرجة •• او يصل رحمه •• بارك الله له فيها ••• وبارك لها فيه »[١٥] •

رحمة الله للعالمين ومنزلة الزوجة فى الاسلام :

لم تعد المرأة فى الاسلام سلعة تباع وتشترى بعد أن رد الله لها آدميتها وكرامتها بمبعث رحمة الله للعالمين • • •
ولم يعد لوليها أن يفرض عليها زوجا ••• بعد أن بين لها رحمة الله للعالمين حقوقها •••

لذا كانت المرأة تسرع اليه ان أصابها من وليها ما يذهب بحريتها فى اختيار زوجها ••• وسرعان ما يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق لذويه ••• ويبين للعالمين أن النساء لم يعدن عارا يلحق بالأسرة ••• تلفظنها حية بزواجها ••• أو ميته بوأدها •••

••• بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ولى فرض على ابنته ابن أخيه •• فذهبت الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تشكو أباها وتقول :

« ان أبى زوجنى ابن أخيه ليدفع بها خسيسته وأنا كارهة

---

(١٥) رواه الطبرانى فى الأوسط •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... فقالت لهـا : « ... اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ... فأرسل الى أبيها فجعل الأمر اليها فقالت الفتاة :

« يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي انما أردت أن أعلم النـاس أن ليس الى الآباء في الأمر شيء »(١٦) .

رحمة الله للعالمين والأولاد :

وتغشت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة كلها ، وكان لكل من أفرادها حظه من رحمته صلى الله عليه وسلم ..

كان للأولاد حظهم من الرحمة التي من الله بها على عباده ... فقد أوصى بتعليمهم الصـلاة منذ طفولتهم .. حتى تعمر القلوب الطاهرة بالايمان ، قال صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبنـاء سبع سنين ... واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ... وفرقوا بينهم في المضاجع »(١٧) .

ذلك أن من آمن بربه وركع وسجد حامدا شاكرا نعماءه ... وصلى وصام ... صغيرا ... داوم على ايمانه ... ووصل والديه وبرهما كبيرا ... وانطلق في حياته يسهم في رخاء مجتمعه .. وتعهده بكل معاني الخير ... ويبذل في سبيل المسلمين جهده وماله ... ولا يدخر وسعا في العطاء لا يبتغي به الا وجه ربه .

وتجلت رحمته صلى الله عليه وسلم وهو يوصي الصحابي

---

(١٦) رواه النسائي . (١٧) رواه أبو داود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بابنته .. لما جاءه فى مكة المكرمة يعوده .

وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يستشيره فى القدر الذى يوصى به لابنته بعد أن يلحق بالرفيق الأعلى ...

.. عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت : يا رسول الله قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة أفأتصدق بثلثى مالى ؟ .. قال : لا .. قلت : فالشطر يا رسول الله ... قال : لا .. قلت : فالثلث ... قال : الثلث .. والثلث كثير ... انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ... وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك ... قال : قلت يا رسول الله .. أخلف بعد أصحابى ؟ قال : انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغى به وجه الله الا ازددت درجة ورفعة ، ولعلك ان تخلف حتى ينتفع بك أقوام .. ويضر بك آخرون .

اللهم امض لأصحابى هجرتهم .. ولا تردهم على أعقابهم ... لكن البائس سعد بن خولة »(١٨) .

(يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة المكرمة) .

---

(١٨) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحتى يشب الأولاد متحابين متآلفين ، أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الآباء أن يؤثر بعض الأبناء على اخوتهم ... وأوصى الصحابة رضوان الله عليهم أن يتقوا الله فى أولادهم ويسووا بينهم فى العطاء ...

... عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك كلهم ؟! » .

قال : لا . قال : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .

وكان صلى الله عليه وسلم يختار الأسماء الحسنة التى لا تنفر السامعين ولا تدعو الى السخرية ...

... وقد فعل ذلك مع حفيده الحسن اذ غير اسمه .. وقد سماه أبوه من قبل حربا .

... وأوصى المسلمين أن يختاروا لأبنائهم الأسماء الحسنة وقال : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء الى الله عبد الله .. وعبد الرحمن .. وأصدقها حارث وهمام ... وأقبحها حرب ومرة »(١٩) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه وسلم نابضة بالحياة وهو يسرع الخطى الى ابنته فاطمة رضى الله عنها لما سمع بكاء الحسن رضى الله عنه وهو يقول : « ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى » .

---

(١٩) رواه أبو داود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته أمام أعينهم وهو يسقى ولده الحسن من نبع رحمته ويقبله ، وعنده الأقرع بن حابس ... ويقول الأقرع :

« ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا » .

قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم »[٢٠] .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم رحمته صلى الله عليه وسلم يوم أطال السجود ... فسألوه وقالوا : « لقـد أطلت سجودك يا رسول الله » .

قال : « ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله » .

ثم رأوا بأعين رءوسهم رحمته صلى الله عليه دموعا يذرفها على ولده ابراهيم وهو يجود بنفسه .

... عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخـل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه ... فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ... وأنت يا رسـول الله ؟؟ ... فقـال : ... يا ابن عـوف انها رحمة ، ثم اتبعها بأخرى ... فقال صلى الله عليه وسلم : « ان العين تدمع ... القلب يحزن ... ولا نقول الا ما يرضى ربنا ... وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون »[٢١] .

---

(٢٠) متفق عليـه .   (٢١) رواه البخارى ومسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان ابتلاؤه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ••• فالأسرة التى تنعم بصغارها ••• وتشرق وجـه الحيـاة ببراءة أبنائها ••• قـد تصاب فى فلذات أكبادها ••• وقـد تمتـد يد الموت تقطف زهرة يانعة •• أو شابا افتتن به من حوله •••• وامتدت آمالها فى غده •• عالما ••• أو طبيبا ••• أو مهندسا •

••• وحينذاك لا تجد الأسرة الا هدى رسولها صلى الله عليه وسلم ••• وصبره على ولده قدوة لها ••• وحديثه الشريف تصطبر به ••• كلما حاول الشيطان أن يكيد ويمكر ••• ويعيث فى القلب فسادا •

••• لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالصبر اذا ابتلاهم ربهم فى أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم وقال: « من يتصبر يصبره الله •••• وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر •• »(٢٢) •

وحتى يكون هذا الصبر عن بينة لمـا ادخره الله له •• بين للعبـد الصابر جزاء صبره وقال :

« اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لمـلائكته : قبضـتم ولد عبـدى ؟ ••• فيقولون : نعم ••• فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ ••• فيقولون : نعم • فيقول : فماذا قال عبدى ؟ •••• فيقولون : حمدك واسـترجع •• فيقول الله تعـالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد »(٢٣) •

---

(٢٢) متفق عليـه •

(٢٣) رواه الترمذى •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم يبين صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر أن فى البلاء تكفيرا للذنوب ، وأن العبد لا يزال فى بلاء حتى يلقى ربه بلا خطيئة ... بعد أن طهره الله من ذنوبه بما ابتلاه به فى دنياه .

... وفى هــذا المقام قال صلى الله عليه وسلم :

« ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة »(٢٤) .

وحتى يتذرع العبد المســلم بالصبر ويتقى به همــزات الشيطان يحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله لا يبتلى الا من أحبــه .

... وحب الله غاية العبد المســلم ، فان أنعم الله بحبه جزاء صبره فمن أطاعه فى الدنيــا من الله عليــه بهــا !! ثم استردها ... فأنعم به من بلاء !!! ما دام رســول الله صلى الله عليه وسلم يبشره بهذا الفوز العظيم فى الحديث الشريف الذى قال فيه :

« ان عظم الجزاء مع عظم البلاء . وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط »(٢٥)

ويوم يدرك العبد المبســلم أنه باشتداد بلائه يزداد قربا من ربه ... تهون عليه الدنيا .... بل تهون عليه نفسه التى بين جنبيه يقدمها فداء بين يديه حتى تتحقق له هذه المرتبة السامية

---

(٢٤) رواه الترمذى .

(٢٥) رواه الترمذى وابن ماجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الرضا والرضوان كما بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال :

« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل »(٢٦) .

رحمة الله للعالمين واليتيم :

ان هذه الرحمة الربانية التى وسعت الأبوين اذا فقدا أحد الأبناء بعد أن كان يملأ الدار بهجة ... والقلب أنسا ... والنفس راحة لم تدع الصغير نهبا لغائلة الزمان اذا فقد أحد أبويه أو كلاهما ... بل أوصى بكفالته وبشر كافله بالجنه وقال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما »(٢٧) .

وحسب اليتيم رحمة أن يكون أكرم الخلق منزلة عند الله يتيما ... وما زاده يتمه الا اقبالا على ربه ، فآواه وهداه ، وأوصاه باليتيم يشفق عليه ويرعاه ... قال تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث ﴾(٢٨) .

رحمة الله للعالمين والوالدين :

ان رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير حتى يقوى ويستوى عوده لم تكن لتدع الكبير ساعة ضعفه ومرضه

---

(٢٦) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٢٧) رواه البخارى .   (٢٨) الضحى : ٦ ــ ١١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحاجتـه الى من يأخـذ بيـده .... فهـو أولى بالرحمـة وأحـق بها .

... لذا قرن رسول الله صلى الله عليـه وسلم عقـوق الوالدين بالشرك بالله ... والشرك ظلم للنفس كبير .

... والذنوب مهما عظمت يغفرها الله ان شـاء الا الشرك كما قال فى كتـابه الكريم ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[٢٩] .

واقتران عقوق الوالدين بالشرك بالله دليـل على أنه جرم عظيم ... وكبيرة لا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه المسلمين .

... بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف رواه سـيدنا أبو بكر الصـديق رضى الله عنه وقال ... قال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ... قلنـا : بلى يا رسـول الله .. قال : الاشراك بالله ... وعقوق الوالدين .. وكان متكئا فجلس فقـال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليتـه سكت »[٣٠] .

---

(٢٩) سورة النسـاء : ١١٦

(٣٠) رواه البخارى ومسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين بالشرك بالله ... قرنت آيات الله البينات الاحسان الى الوالدين بعبادة الله وحده فقال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾(٣١) .

وفى كل مقام يقتضى توجيه المسلمين الى بر الوالدين تتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم بهما حتى وانه أوصى من ترك والديه يبكيان وجاء يبايعه على الهجرة أن يعود اليهما ويحسن اليهما .

... عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ... جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت ابايعك على الهجرة وتركت أبواى يبكيان .. فقال : « ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما »(٣٢) .

ثم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين قد يفضل الجهاد فى سبيل الله ان دعا الأمر ذلك .

---

(٣١) الاسراء : ٢٣

(٣٢) رواه ابو داود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... عن عبد الله بن عمرو بن العـاص رضى الله عنهما قال ... جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد ... فقال : أحى والداك ؟ ... قال : نعم ... قال : ففيهما فجاهد(٣٣) .

ورأى الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم ماثلة أمام أعينهم ، فأيقنوا أن عقـوق الوالدين يأخذ بيد العاق الى النار ... وأن رضاهما وشفاعتهما فيه الرضا .. والمغفرة .. والرحمة من الله .

روى الطبرانى وأحمد عن عبـد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : كنـا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال : شـاب يجود بنفسـه ... فقيل له : قل لا اله الا الله فلم يستطع ... فقال صلى الله عليه وسلم : كان يصلى ؟ ... فقال : نعم ... فنهض رسـول الله صلى الله عليه وسلم .. ونهضنا معه ... فدخل على الشاب فقال : قل لا اله الا الله ... فقال : لا أستطيع ... قال : لم ؟ ... قالوا : كان يعق والدته .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أحيـة أمه ؟ ... قالوا : نعم ... قال : ادعوها .. فدعوها .. فجاءت .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ابنك ؟ .. قالت : نعم ، فقـال لهـا : أرأيت لو أججت نارا ضخمة فقيل لك : ان شفعت له

---

(٣٣) متفق عليـه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلينا عنه ••• والا حرقناه بهذه النار ••• أكنت نشفعين له ؟ ••• قالت : يا رسول الله •• اذن أشفع ••• قال : فأشهدى الله وأشهدينى أنك قد رضيتى عنه •• قالت : اللهم انى أشهدك ••• وأشهد رسولك انى قد رضيت عن ابنى ••• فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام ••• قل لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله فقالها •••• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى أنقذه من النار •••(٣٤) •

وبر الوالدين دائم ومتصل ••• والصلة بهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى لها سبل عديدة بينتها الأحاديث الشريفة •

••• وكما أن اكرامهما فى حياتهما رحمة من الله ••• ونعيم مقيم •••

كذلك اكرامهما بعد لحاقهما بالرفيق الأعلى ••• رضا من الله وفوز كبير ••

••• عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال :

---

(٣٤) رواه الطبرانى .

« بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ... هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ ... فقال : نعم ... الصلاة عليهما ... والاستغفار لهما ... وانفاذ عهدهما من بعدهما ... وصلة الرحم التى لا تصل الا بهما ... واكرام صديقهما »(٣٥) .

وبفضل الله وكرمه ورحمته بعباده يصل هذا البر الى الوالدين وهما بجوار ربهما ... ويرفع الله بدعاء ولدهما درجاتهما فى الجنة ، كما أخبرنا بهذه المنة وهذا الاحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله يرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ... فيقول يا رب أنى لى هذا ؟ ... فيقول باستغفار ولدك(٣٦) .

رحمة الله للعالمين والموالى والخدم :

أما رحمته صلى الله عليه وسلم بالموالى والخدم فحسبنا دليلا على معاملته السامية ما ذكره أنس بن مالك رضى الله عنه ، والذى خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له عن شيء فعله لم فعلته ؟ ... وعن شيء لم يفعله : لم لم تفعله ؟ ...

(٣٥) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم .
(٣٦) رواه أحمد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان صلى الله عليه وسلم رفيقا بخدمه ... وكان يوصى أتباعه بالرفق .... ويدعو السيد أن يعامل خادمه بأخوة الاسلام ... يطعمه مما يطعم .. ويلبسه مما يلبس .. ولا يحمله ما لا يطيق ...

... عن المعرور بن سويد قال : « ... رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها ... فسألته عن ذلك .. فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه .... فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

انك امرؤ فيك جاهلية ... هم اخوانكم وخولكم ... جعلهم الله تحت أيديكم ... فمن كان أخوه تحت يده ... فليطعمه مما يأكل .. وليلبسه مما يلبس .. ولا تكلفوهم ما يغلبهم .. فان كلفتموهم فأعينوهم ... »[37] .

أما الرقيق فقد جنوا ثمار رفقه بهم ... واطمأنوا الى عدالة السماء لما شعروا بتكريم الاسلام اياهم ... هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو المالك أن لا يرفع على العبد سوطا ، ويذكره بأن قدرته على مالكه محدودة ... وقدرة الله عليه لا حدود لها ..

---

(٣٧) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : « اعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو يقول : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » . فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا[٣٨] .

ان هذه الوصية الرحيمة كانت عن مملوك أتى حدا ؛ أما ذلك الذى لم يأت حدا واعتدى عليه مالكه ظلما وعدوانا .. فكفارة عدوانه أن يعتقه كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه فان كفارته أن يعتقه »[٣٩] .

أما الاماء فكن أولى بالرحمة من العبيد ، لأنهن ضعيفات بطبعهن ، وأمرهن فى يد مالك رقابهن ، والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعثه الله رحمة للعالمين ، للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

لذلك أوصى بالاحسان اليهن ، وتعليمهن ، وتأديبهن ، وبشر المالك بضعفين من الأجر ان فعل بأمته ما أوصاه به فى حديثه ، ثم تزوجها وقال :

---

(٣٨) رواه مسلم .

(٣٩) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ثلاثة لهم أجران . رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وآمن بمحمد . والعبد المملوك اذا رأى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت له أمة فأدبها ، فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها . ثم أعتقها فتزوجها ، فله أجران »[40] .

وكانت رحمته تجسيما لنظرة الاسلام للرق الذى ضيق أسبابه ، وفتح أبواب العتق على مصراعيها . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاد يضع أيدينا على هذه الحقيقة حيث قال :

« لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

ولقد أظلت رحمته صلى الله عليه وسلم الأسرة لما أوصاها بصلة الرحم وقال :

« الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله »[41] .

ان الذى يصل رحمه يصل معانى الخير ، وفضائل الأعمال ، ومكارم الأخلاق .

---

(٤٠) متفق عليه .

(٤١) رواه البخارى ومسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو فى صلته لرحمه يبر والديه كما بين له ذلك رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، .. يبرهما وهما فى جـوار ربهما بصلته لذوى الرحم التى لا توصل الا بهما .

وهو فى صلته برحمه يهتدى بمبادىء الاسـلام السامية التى جعلت المؤمن مع أخيـه المؤمن أعضـاء فى جسد واحد .

وهو فى صلته برحمه يدعم بناء الأمة الاسلامية التى تحمل مشاعل النور تهدى بها الناس الى صراط الله المستقيم .

وهو فى صـلته برحمه يشـارك أهله فى السراء والضراء ويجود عليهم بما يمن الله عليه من فضل .

وواصل الرحم ينعم بما من الله عليه من فضـل فى الآخرة والأولى ، ويهنأ بالبركة تعم داره وعمره ورزقه كما بشره بذلك رسـول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسـأ له فى أثره ، فليصـل رحمه »(٤٢) .

ولأن النفس البشرية لا تقبل على العمل الا ان وجـدت مرتعا خصبا .

---

(٤٢) متفق عليـه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحتى يقبل المسلم على صلته برحمه دون أن يأبه لنفس مريضة تنكر عمله الصالح .

وكى لا تشعر النفس بأسى ان قاطعه أهله وهو يصلهم ، وأساءوا اليه وهو يحسن اليهم ، أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نمضى فى صلتنا بالرحم وان جار علينا الأهل .

... عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال . « يا رسول الله انى لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عنهم ويجهلون على .

فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[43] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »[44] .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأتباعه ، يقتدون به فى صلته لرحمه ... فقد وصلهم فى حياتهم .. ولم يقطع صلته بهم بعد مماتهم ... ولا أدل على ذلك من ذكره خديجة رضى الله عنها بعد موتها ، حتى وانه كان يذبح الشاة ويبعث منها الى أصدقاء خديجة رضى الله عنها كما تروى ذلك عائشة رضى الله عنها .

---

(٤٣) الرماد الحار .

(٤٤) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم تقتصر صلته صلى الله عليه وسلم على من حوله من آقربائه بل امتدت صلته بهم فى أعماق الزمان حتى انه أوصى بذوى رحمه من أهل مصر وقال :

« ... ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط(٤٥) فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » .

رحمة الله للعالمين والجار :

وتسع رحمته صلى الله عليه وسلم الجار كما وسعت ذوى الرحم ... فيدعو الأسرة أن تحفظ حق الجار فى صحته ومرضه، وفى قوته وضعفه ، وفى غناه وفقره ، وأن تحرص على معاونته وتتجنب أذاه ، وأن تحفظه فى زوجه وماله وولده ، وأن لا تؤذيه فى مشاعره ، لأن الجار أقرب الناس اليه فى السراء والضراء ... يبذل لدفع الضر عنه ما يملكه من جهد .

... لذا أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان عمن يؤذى جاره ، وقال : « والله لا يؤمن ... والله لا يؤمن .. قيل : من يا رسول الله ؟ .. قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه »(٤٦) .

---

(٤٥) جزء من الدينار والدرهم كان يتعامل به أهل مصر .
(٤٦) متفق عليه .

فالايمان بالله أمن وأمان ... ومعاملة كريمة للناس تعكس أمن النفس وطمأنينة القلب .

... ومن يؤذ جاره فقد لفظ الايمان من قلبه .

وحتى تأتلف الأرواح ، وتتآلف النفوس أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد المسلم بأن يتعهد جاره ، ويطعمه بما من الله عليه من فضل ، وأوصى أبا ذر الغفارى رضى الله بذلك وقال : « يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »(٤٧) .

ذلك لأن للجار منزلة ومكانة عند الأسرة التى يجاورها ، وله حقوق لا تقل عن حقوق أفرادها ، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(٤٨) .

حقا يا رسول الله .. ان للجار مكانة ومنزلة عند جاره ، وله حقا بينته فى حديثك الشريف حتى كاد أن يرث مع أفراد الأسرة .

---

(٤٧) رواه مسلم .   (٤٨) متفق عليه .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الاسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقا يا رسول الله •• فان أخوة الدين ارتقت أو كادت أن ترتقى الى أخوة النسب فيما شرعه الله من حقوق •

حقا يا رسول الله • فبما رحمة من الله الرحمن الرحيم رحمت الأسرة زوجا وزوجة ، فتآخت بنين وبنات ، وتلاحمت موالى وخدما ، وتعاونت رحما وجارا ، فكانت بمنة الله خير أسرة في خير أمة •



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

سوره آل عمران (آية : ١٠٣)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجتمع العربى المسلم

رحمة الله للعالمين والعرب :

توافرت للعرب بعد الاسلام كل مقومات الأمة المتحضرة ، فانطلقت ترتاد شتى مجالات العلوم والمعرفة ، وتنهل من منابع النور والحكمة ، وتسهم فى اعلاء شأن الانسان من منطلق العبودية لله وحده ، بعد أن تحررت من كل قيد يعوق إنطلاقها الى دنيا المثل العليا ، والقيم النبيلة ، والأخلاق السامية ، والتعاون المثمر الذى جاءت به مبادىء الاسلام السامية .

وتحقق هذا التحول المعجز بفضل رسالة السماء ، وجهاد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم . بعد أن رأت العرب الرحمة الربانية فى نبيها قولا ، وفعلا ، وسلوكا ، ومعاملة ، وخلقا ، ظاهرا ، وباطنا .

رأتها العرب فاقتدت به واهتدت وصارت بفضل ربها نورا يشرق فى الآفاق بعد أن كانت نارا تحرق الأصدقاء والأعداء.

ووسعت أخلاقه صلى الله عليه وسلم الشتات من القبائل، والأجناس ، والفئات الاجتماعية المتفاوتة ، فصارت بنعمة الله مجتمعا متجانسا ، بينت آيات الله تآلفة الروحى، وتعاطفه الانسانى فى قوله تعالى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

ورأت العرب سمو نبيهم الوجدانى ، وسموه الروحانى فى تواضعه الذى عبر عنه آنس بن مالك رضى الله عنه وقال : « ... أن كانت الأمة من اماء المدينة لتأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت »[2] .

... ثم أراهم الرحمة وهو يهدى النفوس الى العبادة التى يرضاها ربنا ... فأبى عليها أن تتبع سنن من قبلهم ... فيقدسونه كما قدسوا أنبياءهم ... وينتهون الى حيث انتهوا فيعبدونه من دون الله ...

لذا كان يحذرهم من القيام له تعظيما ويقول : « ... لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا ... » ...[3] .

وكان يدعوهم الى معاملته كبشر أوحى اليه برسالته ... ويوصيهم بأن ينزلوه حيث أنزله الله ...

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) أخرجه أبو داوود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن أنس رضى الله عنه قال : آن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ياخيرنا وابن خيرنا ••• وسيدنا وابن سيدنا •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « قولوا ما أقول لكم ••• ولا يستهوينكم الشيطان •• أنزلونى حيث أنزلنى الله ••• أنا عبد الله ورسوله ••• »(٤) •

وكان يحذرهم من اتخاذ قبره مسجدا يعبدون فيه ربهم كما فعلت اليهود والنصارى من قبل •••• حتى لا يتسلل الشرك الى نفوسهم ويوردهم موارد الهلاك كما فعل بسابقيهم •

واطمأنت قلوبهم ، وهدأت نفوسهم ، وأيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبغ بما يدعوهم اليه جاها ولا سلطانا وحسبهم أحاديثه التى دعتهم الى عبادة الله وحده حيث قال : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تفعلوا وكررها ثلاثا »(٥) •

وحتى يقطع على الشيطان سبيله قال صلى الله عليه وسلم: « لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى » •

وبهذا الحديث الشريف أغلق أبواب الغواية ، وسد عليه

---

(٤) اخرجه أحمد عن أنس . (٥) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبل الضلال حتى لا يتخذ أتباعه قبره مسجدا بحجة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب •

مجتمع الحب فى الله :

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعا متحابا فى الله بعد أن اقتلع من النفوس همسات الحقد ، ونزغات البغض ووساوس الكراهية ، وبعد أن آلف القلوب وهداها الى خالقها ، فانشغلت بحمده ، وتسبيحه ، والثناء عليه ، وتمجيده ، وبعد أن شفى النفوس من أمراضها التى مزقتها من قبل اربا ، كما صور ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف وقال :

« دب اليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، والبغضاء هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذى نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أنبئكم بما يثبت ذلك افشوا السلام بينكم »(٦).

وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف الايمان بأسمى عاطفة لينالوا به أنبل غاية يوم اللقاء •••

---

(٦) رواه البزار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الغاية التى يجاهد العبد المؤمن لهـا نفسه . ويقوم للفوز بها ليله .. ويصوم لهـا نهاره ...

هذه الغاية ... طريقها الايمان .... والايمان طريقه الحب فى الله .. كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى أحاديثه الشريفة والتى ربط بها قلوب أصحابه رضوان الله عليهم .. برباط الحب ... وبين لهم فيها مقام المتحابين عنـد ربهم ... ومدى ماينعمون به من أمن وأمان يوم لقائه وقال : « ان من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء .. قيل : من هم لعلنا تحبهم ... قال : هم قوم تحابوا بنور الله فى غير أرحام ... ولا أنساب ... وجوههم نور .. على منابر من نور .... لا يخافون اذا خاف الناس ... ولا يحزنون اذا حزن الناس ... ثم قرأ : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[7] .

وكيف يحزن المتحابون فى الله وقد رضى الله عنهم ورضوا عنه ...

وكيف يخافون وقـد خافوا ربهـم فى دنياهم فأمنهم فى أخراهم ....

وكيف يفزعون وقد أثمر خوفهم من ربهم الأمن فى أنفسهم فتحابوا ... فأظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال .. قال رسول الله صلى

---

(٧) رواه النسـائى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول يوم القيــامة ... أين المتحابون بجلالى ؟ ... اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل الا ظلى »[8]

... لقد أظلهم ربهم بظله يوم لقائه ، لأنهم أحبوا بعضهم بعضا فى الله ... ومن أحبه مولاه تولاه .. وأنعم عليه برضاه ، ... وجعل الجنة منقلبة ومثواه ...

السلام سمة المتحابين فى الله :

ان المجتمع العربى المسلم الذى تفيأ فى ظل رحمــة الله للعالمين وانطلق يعلى كلمة الله فى مشارق الأرض ومغاربها انما استقى قيمه الاجتماعية .. ومثله العليــا من نبع الحب فى الله كما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فكان التعاون والتكافل الاجتماعى والمعاملة الانسانية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله ....

كان هذا كله وغيره من معانى الخير والبر والتقوى يفيض من هذا النبع الملائكى الطاهر .. نبع الحب والمودة والألفة ...

لكن كيف تحاب الصحابة رضوان الله عليهم فى الله ... وما السبيل الى هذا الفيض الربانى الذى به تحقق ما يشــبه المعجزات فى فترة قصيرة من الزمان ؟!

تحاب الصحابة رضوان الله عليهم فى الله لمــا أحبوا الله ورسوله وآثروهما على أنفسهم وأموالهم ... وافتدوا هــذا

(٨) رواه مسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحب بأرواحهم . هاجروا وقاتلوا واستشهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الله وهدى رسوله ...

ومن هـذا المنطلق تآلفت الأرواح ... وائتلفت القلوب واطمأنت النفوس ... وصارت الجماعة وكأنها نفس واحـدة تتردد فى أجساد متعددة ...

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم الى الحب فى الله .. والذى بـه يتحقق الايمان .. وقال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم .. افشوا السلام بينكم »(٩) .

فالسلام يوحى بالأمن والأمان .. وينطلق من نفس آمنة مطمئنة بحب الله وبحب رسوله ... وينعكس تآلفا مودة وبرا وتعاونا فى علاقات الناس ...

والسلام اسم من أسماء الله وضعه على الأرض .. ومن أفشاه ذكر الناس باسم من أسمائه .. وكان له عليهم هـذا الفضل ... كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه على الأرض فأفشوه بينكم ... فان الرجل اذا مر بقوم فسلم عليهم ... فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم السـلام فان لم يردوا عليه رد من هو خير منهم »(١٠) .

---

(٩) رواه مسلم .

(١٠) رواه البزار والطبرانى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسلام تحية الملائكة لأهل السلام ... تزفهم به الى دار السلام ... تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾[11] .

وبالسلام يتطهر العبد المؤمن من ذنوبه وتتناثر خطاياه كما يتناثر ورق الشجر ، كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ان المؤمن اذا لقى المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر »[12].

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتباعه بافشاء السلام فى كل لحظة وحين ، فامتثلوا لهذا الأمر حتى صار السلام سمة من سمات العبد المؤمن ، ولازمة لا تفارقه ، وعنصر من عناصر شخصيته ... ان أغفلها أغفل سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وهديا من هديه .

لذلك التزم الصحابة رضوان الله عليهم بأحاديثه التى دعاهم بها حيث قال :

« إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فان حالت بينهما شجرة ، أو جدار ، أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه »[13] .

وافشاء السلام يعنى فى المقام الأول السلام النفسى الذى يعبر عنه المسلم بكلمات التحية التى أمرنا الله ورسوله بها .

---

(١١) الزمر : ٧٣ . (١٢) رواه الطبرانى .
(٣٣) رواه ابوداوود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقى كل وهم باطل يعكر صفو السلام النفسي ولو حتى بظن قد يدع للشيطان سبيلا يوغر به النفوس ...

وقد روت أم المؤمنين صفية بنت حيى رضى الله عنها ما يبين ذلك وقالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفا فى المسجد فأتيته آزوره ليلا ، فحدثته ، ثم عدت لأنقلب ، فقام معى ليقلبنى، ـ وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ـ فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلكما ، انها صفية بنت حيى .. فقالا : سبحان الله يا رسول الله » . فقال : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا أو قال شيئا »[14] .

ان العبد المسلم يعيش بين اخوانه وسلامه النفسي يسرى الى مشاعرهم أمنا وأمانا ، ومودة وحنانا .

ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدهم الى هذا السمو النفسي ، ودعاهم أن يحرصوا كل الحرص على مشاعر بعضهم البعض .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر حديثه الشريف الذى حذر فيه اثنين يتناجيان دون ثالث يجلس معهما ودعاهما ألا يفعلا ذلك حتى لا يظن الثالث ظن السوء ، وحتى لا تحدثه نفسه بأن نجواهما

---

(١٤) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت عليه ، فيحمل فى نفسه ، ويبتعد عن أخيه دون ذنب جناه ، ويتفرقا بهذا الحاجز النفسى الذى نهاانا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، فان ذلك يحزنه »[١٥] .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ألف برحمته القلوب ، ما كان له أن يدع سبيلا للنفس الأمارة بالسوء أن توغر الصدور .

حقا ما كان له أن يفعل ذلك ورسالته السمحاء تدعو الى الألفة والتزام الجماعة ، ووصاياه كلها تمهد للمسلمين سبل الحياة المتحابة المتعاونة ، حتى وانه كان يمنع آكل الثوم أو البصل من الصلاة مع جماعة المسلمين ، حتى لا تتسلل الجفوة اليهم ويقول : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا »[١٦] .

وجدير بمن رباه رسول الرحمة على هذا المستوى الراقى من السمو الوجدانى ، والصفاء النفسى أن تسمو مشاعره ، وأقواله ، وأفعاله ، فلا يقول الا حقا ، ولا يعمل الا خيرا .

آثار الحب فى الله :

واهتدى الصحابة رضوان الله عليهم بهدى نبيهم ، فتحابوا فى الله ، وتآلت القلوب بأسمى عاطفة ، وأثمرت هذه العاطفة النبيلة تعاونا ، وعملا صالحا ، وقولا لينا .

---

(١٥) متفق عليه ، ورواه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه .

(١٦) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصـــار الصحابة يحزنون لمـــا يصيب أحـــدهم من ضر ، ويفزعون من البلاء نزل بساحة أحدهم ، فلا يطيب لهم عيش ، ولا يهنأ لهم بال ، ولا يهدأ خاطر ما دام أخ لهم في هم ، أو غم ، أو نصب ، أو ضائقة تعكر صفو حياته .

وذلك لأن رحمة الله للعالمين بمشاعره ، وبأقواله ، وبأفعاله ، وبصدقه ، ونقاء سريرته ، ووصاياه ، وأحاديثه ، صهر هـــذه النفوس في بوتقة الايمان ، فصارت وكأنها نفس واحدة ، وألف الأرواح الشاردة حتى صارت روحا تتردد في أجساد عديدة ، ووحد الوسيلة ، والغاية ... فصارت الأفكار متسقة بناءة ، والقدرات متكاملة خلاقة مبدعة .

وصار القوى يدخر قوته ليسد بها ضعف أخيه ، وأصبح مال الغنى سندا لحاجة الفقير ، وباتت شجاعة الفارس ومهارته درعا تقى المستضعفين في الأرض ، فأصبحوا بفضل رحمة الله للعالمين صرحا شاهقا يكمل بعضهم بعضا ، وتحقق فيهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « مثل المسلمين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منـــه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(١٧) .

لقد رباهم رحمة الله للعـــالمين على الحب ، وعلمهم أن الايمان يعنى النية الصادقة ، الخالصة لوجه الله ، والمخلصـــة لاخوانها ، وأرشدهم بأن الايمان بالرحمن ، الرحيم ، الكريم ،

---

(١٧) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الودود يعنى الرحمة والمودة لكل مسلم ، وأن من لم يفعل ذلك نقص ايمانه ، وحاد عن هدى نبيه الذى جعل الايمان مشاركة بالمشاعر ، والأقوال ، والأموال ، وبذل ما يملكه العبد المسلم من قدرات فى سبيل أخيه ان دعاه الأمر لذلك .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الايمان فى الحديث الشريف وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[18] .

والحب فى الله الذى يكتمل به ايمان المؤمن يتمثل فى كماله الانسانى . فايمانه بالله وباليوم الآخر يعنى كفه أذاه عن جاره، واكرامه لضيفه ، وكفه لسانه عن الشر كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »[19] .

والسلام النفسى الذى تعهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أمن الانسان وأمانه حيث كان .

والمسلم أولى الناس بهذا الأمن ، وهذا الأمان .

وما كان للأمن أن يظل أمة الاسلام لولا أن النفوس قد تخلصت من نقائصها فلا تضمر شرا ، والا لأن الألسنة قد تطهرت من الفحش والبذاءة فلا تنطق الا خيرا ، ولأن الجوارح قد أسلمت لربها فلا تمتد الا تعاونا وبرا .

---

(١٨) متفق عليه .

(١٩) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالمسلم قد أسلم كيانه كله لربه ، كما هداه اليه رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[٢٠] .

ولا يعنى اسلام الانسان لربه الاكتفاء بكف الأذى عن أخيه المسلم ، بل يعنى الاسراع اليه ان ألمت به ملمة ، ومشاركته مشاعره ان أصابته حسنة .

وهو فيما يفعل انما يبتغى أجره من ربه ، لأن من استعان لم يستعن الا بمولاه ، وكلاهما (المعين والمستعين) يستنسران الثواب والرحمة من رب العالمين .

ولو تدبرنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمنا أن المسلمين — من أعطى ومن أخذ — لا يقصدون الا ربهم ، فالمعطى يعطى لله ، والمستعين والمستجير والسائل انما يستجير ويستعين ويسأل ربه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه »[٢١] .

والعبد المسلم يلتزم بما أوصاه به رسوله صلى الله عليه وسلم نحو أخيه .

وهو فى التزامه لا يفرق بين جنس وجنس ، ولون ولون ، وسيد ومسود ، وغنى وفقير .

---

(٢٠) متفق عليه .

(٢١) رواه أبو داوود والنسائى واللفظ له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان التزامه تضامن روحي ينتظم الأمــة الاســلامية أينما كانت ، وحيثما كانت ، حتى يفيض على أمة الاسلام هذا النبع الطاهر ، ويزداد به المسلمون ألفة ومودة وتراحما وتعاونا ، وهم يقومون بأداء ما عليهم من حقوق حدثهم بها رسولهم صلى الله عليه وسلم وقال : « حق المسلم على المسلم خمس •• رد السلام •• وعيادة المريض ••• واتباع الجنائز •• واجابة الدعوة •• وتشميت العاطس »[٢٢] •

والحب فى الله ينعكس على معاملة المحب لله لأخيه وتبدو آثاره فى أقواله ••• وفى أفعاله •• يشارك أخاه فى سرائه ••• وفى ضرائه •• وفى يسره •• وفى عسره ••

فالمحب صادق الوعد ••• وفى العهد ••• عف اللســان ••• رقيق القلب •••••

وحبه لأخيــه يؤتى أكله باذن ربه تعــاونا وتآلفا وبرا ورحمة •••

أما من يفعل غير ذلك فقد أفقر قلبه من الحب ••• وخرج بسوء فعاله من جماعة المؤمنين

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب لنا المثل وهو يحاور رجلا يبيع طعاما ••• فأعجبه وأدخل يده فرأى بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ •••

قال : أصابته السماء •••

---

(٢٢) رواه البخارى ومسلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس .. من غشنا فليس منا [٢٣] .

ولعلنا لو تدبرنا فى قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون . الذى هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[٢٤] لعلمنا أن الايمان بالله لا يكتمل بنيانه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ان لم تنه شعائر الدين وأركانه المؤمن عن اللغو والزنا ، وتلزمه بأداء الأمانة والوفاء بالعهد وان لم يقوم الايمان سلوكه فى المجتمع ، وان لم يعبر بمعاملته للناس عن ايمانه بالله وبرسوله واليوم الآخر ...

مجتمع البر والتقوى :

وحتى تصفو النفس من الهوى ، وتسموا الى أعلى درجات الكمال الانسانى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى، وبين لنا مغزاها ، وعددت لنا آيات الله البينات صفات المتقين وجزاءهم فى دنياهم وأخراهم .

لذا اكتملت لأمة الاسلام مقومات الرقى النفسى فسادوا من

---

(٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) المؤمنون : ١ — ١١ .

حولهم من الأمم ... وما تحقق للمسلمين ذلك الا لأنهم اقتدوا بسيد المتقين الذى هداهم الى تقوى الله فى كل قول وعمل ، وكل غاية وهدف ، فكان بحق مجتمع البر والتقوى .

كانت التقوى منطلق حياتهم ، ومعقد آمالهم . وكانوا يتقون ربهم فى معاملاتهم ، وفى أعمالهم ، وفى عباداتهم .

وقد بينت لهم آيات الله الوسيلة لتحقيق هذه الغاية السامية ، وبشرتهم بالجزاء الذى ينتظر المتقين يوم لقاء ربهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم بالتقوى ، ويريهم فى نفسه التقوى سلوكا ، ومعاملة ، وقولا ، وفعلا ، وعبادة ، واخلاصا ، وصدقا .

واجتنب المسلمون ما حرمه عليهم ربهم ، والتزموا بما فرضه عليهم ، وراقبوه فى السر والعلن ، وكانوا لا يرون فى أنفسهم أحدا سواه ، ويتوقون الى لقائه ، كما وصفهم على بن أبى طالب « كرم الله وجهه » وقال : « نزلت أنفسهم فى البلاء ، كما نزلت فى الرخاء ، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى ربهم ، عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم » .

ولعل خير دليل لشديد شوقهم الى لقاء ربهم انما هى آيات الله تصور لنا حال العاجزين عن الغزو لضيق يدهم ، وهم يعودون الى ديارهم وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا ما لا ينفقون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد اتقت العرب بعد اسلامها ربها ، وعظم مقامه فى أنفسهم ، حتى وأن الصحابة رضوان الله عليهم ، كانت ترتعد فرائضهم اذا قرءوا أو سمعوا آيات العذاب .

ولعل ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... ـ وهو أحد المبشرين بالجنة ـ لعل ما فعله دليلا على تقوى المجتمع العربى بعد اسلامه .

... لقد كان يقرأ يوما ما فى كتاب الله قوله تعالى : « اذا الشمس كورت » ... حتى اذا بلغ قوله « واذا الصحف نشرت » ... خر مغشيا عليه .

... ولقد هام سلمان الفارسى على وجهه ثلاثة أيام .. هلعا وخوفا من يوم الحساب ، لما نزل قوله تعاله : « وان جهنم لموعدهم أجمعين » .

وكانوا مع شديد تقواهم ... يظنون بأنفسهم الظنون ... ويستقلون ما يعملون .. وكأنما كان يعنيهم على ابن أبى طالب رضى الله عنه ويقول :

« لا لا يرضون من أعمالهم بالقليل ... ولا يستكثرون الكثير ... فهم لأنفسهم متهمون ... ومن أعمالهم مشفقون .. اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول :

« أنا أعلم بنفسى من غيرى . . وربى أعلم بنفسى منى ... اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ... واجعلنى أفضل مما يظنون .. واغفر لى ما لا يعلمون » .

ولو تدبرنا آيات الله لعلمنا أن الشهادة كانت أعــذب مناهم ، فى متقلبهم ومثواهم .

قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورســوله ما على المحسنين من سـبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا مــا أتوك لتحملهم قلت لا أجــد مــا أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾[٢٥] .

ورأى صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بكتاب الله أخراهم ، فالتزموا به فى دنياهم .

ذلك أنهم وهو يتلون آيات الله تصف الجنة كانوا يكادون يشمون ريحها ، ويرون قصورها ، وأنهارهــا ، وولدانهــا ، وحورها ، وكانوا يكادون يرون النــار وهم يتلون آيات الله تصور جهنم وتكاد أرواحهم أن تصطلى بنارها ، فكانوا كمــا وصفهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقال :

« أما الليل فصــافون أقــدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلا ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ، ركنوا اليها طمعا ، وتطلعت أنفسهم ، حتى ان الصحابة رضوان الله عليهم كانت ترتعد فرائصهم اليها بمسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصــول آذانهم ، فهم جــاثون على ركبــهم ، يطلبــون من الله فكاك رقــابهم » .

---

(٢٥) التوبة : ٩١ ــ ٩٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى اتهام أنفسهم بالتقصير فى عبادة الله والقول الطيب .. والعمل الصالح قمة التقوى وذروتها ...

ذلك لأن من يرى نفسه أهلا لصفة ما ... فقد كاد أن يضيع ما أنعم الله به عليه ... ومن ظن أنه قد ارتقى وسما .. كاد ظنه أن يهلكه ويودى بما قدمت يداه ..

كان العربى المسلم ... يتقى ربه .. سيدا ومسودا ... غنيا وفقيرا ... حاكما ومحكوما ... قويا وضعيفا ..

وكان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصون أتباعهم بتقوى الله فى أول لقاء .

... فعل ذلك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وقال : « أما بعد ... فانى أوصيكم بتقوى الله عز وجل ... وأن تثنوا عليه بما هو أهله .. وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة وتجمعوا الالحاف فى المسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾[٣٦] .

ويذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولده بالتقوى فى وصية له ويقول :

« أما بعد ، فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فان من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك » .

---

(٣٦) الأنبياء : ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقى المجتمع المسلم ثواب تقواه فى دنياه احقاقا لقوله تعالى : ﴿ ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا ﴾(٢٧) .

ووعد الله المتقين بأحسن الجزاء فى الآخرة فى قوله تعالى :

﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾(٢٨) .

مجتمع الحرية والاخاء والمساواة :

كان لعقيدة العرب الفاسدة أثرها فى أخلاقهم .. وفى معاملاتهم ... فكانت غاياتهم شتى ... وآراؤهم وأفكارهم شتى ... وكانوا كآلهتهم لا يسمعون ولا يبصرون .. ولا يجتمعون على أمر ...

وناهيك بحياة قوم يأتمرون بقدح ... يخرجونه من وعاء بجوار الكعبة ... فان كان مكتوبا عليه « افعل » ... مضوا لما خرجوا له تجارة كانت ... أو زواجا ... أو سفرا .. وان كان مكتوبا عليه « لا تفعل » عادوا من حيث أتوا ... وان كان القدح « غفلا » أعادوا الاستقسام مرة أخرى حتى يستأنسوا بما أمرت به الآلهة .

ويعنى هذا أن حياتهم كانت مرهونة بأوهام وأباطيل

---

(٢٧) الطلاق : ٢ ، ٣ (٢٨) آل عمران : ١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما أنزل الله بها من سلطان ... حتى هلت بشائر الرحمه بمبعث رحمة الله للعالمين ... فاستنقت العرب من فيض رحمته ...

وكان أول القطر حرية أشرق فجرها فى ربوع مكة المكرمة ... فانجابت من النفوس ظلمات الشرك ... وسراب الباطل .

وما ذلك الا لأنهم سجدوا للواحد القهار ... ونبذوا ما دونه من أوثان وأصنام .... وعبدوا العزيز الغفار ... ولم تعد جباههم لتسجد لجاه أو سلطان او مال ... وخافوا من ربهم المنتقم الجبار .... ولم تعد قوة دونه ترهب أحدا ... ولو مزقت أجسادهم ... وأزهقت أرواحهم .. فقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ... كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ..

لقد أصبح المسلمون أحرارا فيما يعتقدون ... وأحرارا فيما يقولون ... وأحرارا فيما يفعلون .. لا يلتزمون الا بما أمرهم به ربهم ... ولا يهتدون الا بهدى نبيهم ... فهم يرون فى البلاء رحمة من ربهم ما داموا يبغون رحمته ويخشون عذابه .... ولا يجزعون لما يصيبهم فى دنياهم من هم وحزن وأذى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم أن الخير فى الرضا بما ارتضاه ربهم .. وقال فى حديثه الشريف : « ما يصيب المؤمن نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه »(٢٩) .

كان الخوف فى داخلهم فحرروا نفوسهم منه ... حتى صغرت الدنيا كلها فى أعينهم .... وتلك هى الحرية الحقة .. أن تتحرر النفوس من الجاه .. والمال .. والسلطان .. والزوجة .. والولد ... وتكون عبدا للواحد الأحد ...

وكان الاخاء فى الله وليد الحرية .. ذلك أن ما دعاهم من قبل الى العداوة والبغضاء .. من تفاخر وتكاثر بالمال والولد .. قد قضى وانقضى ... وصار همهم آناء الليل وأطراف النهار هو الاقتداء بنبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال فى حديثه الشريف « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... من كان فى حاجة أخيه ... كان الله فى حاجته ... ومن فرج عن مسلم كربة ... فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .... ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »(٣٠) .

وكانت صحبة الصديق رضى الله عنه فى هجرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الاخاء .. فقد ألقى ما كان يملكه من متاع الدنيا وراء ظهره وآثر الهجرة ابتغاء وجه ربه .

وصفت أسماء رضى الله عنها هجرة أبيها الصديق وقالت : « دخل علينا جدى أبو قحافة ... وقد ذهب بصره ...

---

(٢٩) رواه البخارى ومسلم .

(٣٠) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال : والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ...
قلت : كلا يا أبت .. انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ... فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة البيت .. كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت :

« يا أبت ... ضع يدك على هذا المال .

فوضع يده عليه فقال : لا بأس اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن .

قالت أسماء رضى الله عنها :

« ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك » .

مجتمع الاخاء فى المدينة المنورة :

وانطلق الركب الطاهر الى المدينة ، وكانت أول ثمرات رحمة الله للعالمين اخاء ، ومودة بين الأوس والخزرج ، فصاروا بمنة الله وفضله أنصارا لله ولرسوله .

وتآخى المهاجرون والأنصار ، وتقاسموا الديار ، والأموال .

وفغر التاريخ فاه دهشة وعجبا مما يراه بعد أن ولت العداوة والبغضاء والقتال الى غير رجعة ، وبعد أن آثر الأنصارى أخاه على نفسه ، وقدم له ما يملكه حتى لا يشعر بالغربة والحاجة .

فعل ذلك سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه وقال لأخيه فى الله عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالى فخـذه ، وتحتى امـرأتان ، فانظـر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقهـا » .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : « بارك الله فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق ، فدلوه ، فذهب وباع ، واشترى ، وربح » .

وصورت الآيات البينات هذا الاخاء الانسانى أسمى تصوير فى قوله تعـالى :

﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبـون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هو المفلحون ﴾[٣١] .

... وكما وأن الحرية أثمرت الاخاء فى الله ، فقد قضى الاخاء على آفات النفس وأمراضـها ... فلم تعـد النفـس مستكبرة متعالية ... لأن الاخاء فى الله يعنى المساواة .

... لقـد تآخت النفوس .. فصار مولى خديجة رضى الله عنها قبـل الاسـلام زيد بن حارثة رضى الله عنـه أخا لصاحب رسول الله ورفيقه فى الغار أبى بكر الصـديق رضى الله عنـه .

... وتألق فجر المسـاواة فى سماء الانسانية يوم صار

(٣١) الحشر : ٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى رضى الله عنهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

... وأشرقت شمسها وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن فى أول خطبة له ويقول : « القوى عندكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ... والضعيف عندكم القوى عندى حتى آخذ الحق له » .

حقا ... لقد أبدل رحمة الله للعالمين عداوة العرب ألفة ومحبة ... وابدل خوفهم أمنا ... وقتالهم سلاما .. فأصبح مجتمعا للحرية والاخاء والمساواة ... تزكى معانيها السامية فروض الاسلام من صلاة ... وصيام ... وحج .. وزكاة .

مجتمع الحق والعدل والامن :

صار المسلمون يحقون الحق ، ويبطلون الباطل لما بعث الله نبى الحق الذى هداهم الى الحق ، يسبحون بحمد ربهم ويمجدون ، ويؤمنون به وله يركعون ويسجدون .

وصاروا يقدسون الحق بعد ما أضاء سنا الحق ظلمات نفوسهم ، وأشرقت أنواره فى قلوبهم ، وهم يرتلون آيات الله ، تهديهم الى الحق ، والى صراط مستقيم فى قوله تعالى :

﴿ وهو الذى خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾[٣٢] .

---

(٣٢) الآنعام : ٧٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم صـــارت السنتهم تلهج بذكر الحق كما علمهم رسولهم صلى الله عليــه وسلم الذى كان يثنى على ربه بمــا هو أهله ويقــول :

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد انت قيوم الســماوات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حــق ، والســاعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حــق .

اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما اعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، الذى لا اله الا أنت ولا حــول ولا قوة الا بالله »(٣٣) .

وصــار الحق فى المجتمع العربى بعد اسلامه دعامة من دعائمه ، وغاية يسعى اليه .

وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم كل عضو من أعضاء المجتمع الى ما أوجبه عليه ربه له ، ولأسرته ولمجتمعه ، وبين أن هــذه التكاليف يقابلها فى الوجه الآخر حقوق .

ولقد تعرضــنا للأسرة وتبين لنــا حــق الزوج والزوجه

---

(٣٣) أخرجه الجماعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأولاد والخدم والموالى ، والذى بينه حديثه الشريف ، وبين فيـــه حقوق الرعية قبل الوالى وقال :

« كلكم راع ، وكلكم مســـئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجهـــا ومســـئولة عن رعيتها ، وكلكم راع ومســـئول عن رعيته »(٣٤) .

ولو تعرضنا لمســـئولية الامام لعلمنا أنها تعنى حقـــوق الرعية ، وتعنى قيامه على شـــئون حياتهم ، وتعنى بأن الوالى ــ وهو المسئول عن رعيته ــ لا يغفل عن أولى الضعف والحاجة كما بين ذلك حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« من ولى من أمر الناس شـــيئا فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة »(٣٥) .

والوالى يرى معايش الناس ، وأحـــوالهم ، وحاجاتهم . وما يعانونه من هم فى المرآة التى تلازمه آناء الليـــل وأطراف النهار وللرعية الحق فى الاطمئنان الى صـــدق وأمانة من حـــول الوالى من أمراء ، ووزراء ، وقواد ، والذى تعرض له حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفه ، الا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه . وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليـــه . والمعصوم من عصم الله »(٣٦) .

---

(٣٤) متفق عليه .

(٣٥) رواه أحمد والطبرانى .

(٣٦) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرسـول صلى الله عليه وسلم وهو يبين حقوق الرعية قبل واليهم لم يغفل حـق الوالى حيث قال فى احـدى خطبـه « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطـاعة ، وان كان عبـدا حبشـيا فانه من يعش منكم بعـدى فسـيرى اختـلافا كثيرا فعليكم بسـنتى وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين . تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجـذ ، واياكم ومحـدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[37] .

انه المجتمع العربى المسلم الذى أقامه نبى الرحمـة على دعائم الحق ... فكان خير مجتمع رأته الانسانية .

ولقد امتثل الصحابة رضـوان الله عليهم لهذا الهـدى النبوى وأقاموا حياتهم على الحق أفرادا وجماعات ، واسـتظل بهذه المظلة الواقية كل ذى حـق فى الحياة انسانا كان أو حيوانا أو طائرا يطير بجناحيه فى السـماء ، واحتموا بظلال الحـق الوارفة من قيظ التعصب والبغض والكراهية التى دمرت حياتهم ومزقتهم أحزابا وشـيعا .

ولعلنا لو تدبرنا الحديث الشريف الذى يحفظ للطير حقه ويأبى أن نلهو به ونعبث ، ونجحد نعمة الله علينـا وقد سخره لنـا طعاما طيبا ، لعلمنا أن لكل ذى كبد رطبة حق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من انسـان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقهـا الا يسـأله الله عنها يوم

---

(٣٧) أخرجه أحمد ، وأبو داود وغيره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيامة .. قيل : يا رسول الله .. وما حقها ؟ قال : حقها أن تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها فترمى به »[٣٨] .

ان الحق يعلو ويسمو ويسع حتى الجماد الذى لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يشكو من انسان أنكر له حقا . فقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للطريق حقه ان جلسنا فيه نتحدث فى أمور دنيانا ، وحق الطريق أن نأمر فيه بالمعروف ، وننهى فيه عن المنكر ، ولا نجرح مشاعر الناس بكلمة نابية أو نظرة جارحة ، ولا نبدل نعمة الله اثما وبغيا وعدوانا ، ونجحد آلاء الله الذى سخر لنا الأرض نمشى فى مناكبها ونأكل من رزقه .

اهتدى السلف الصالح بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فأعطوا الطريق حقه الذى بينه فى حديثه الشريف وقال للصحابة رضوان الله عليهم « اياكم والجلوس فى الطرقات . قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم الا المجلس فأعطو الطريق حقه .. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر ... وكف الأذى ... ورد السلام ... بالمعروف ... والنهى عن المنكر »[٣٩] .

ولقد رأى الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحق الحق ويبطل الباطل ، ورأوه وهو يحفظ

---

(٣٨) رواه النسائى والحاكم . (٣٩) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لصاحب البيت حقه فيمن دخل بيته ... ويعلم الزائر أن يحفظ حق صاحب الدار ...

عن ربعى بن خراش قال : حدثنا رجل من بنى عامر استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت فقال : أألج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه « اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان .... فقل له : قل : السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم ... أأدخل ؟ فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم فدخل »(٤٠) .

ورأوه وهو يخشى أن تطالبه وصيفة بحقها ان ضربها حتى ولو بسواك فى يده ...

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وكان بيده سواك ... فدعا وصيفة له ـ أو لها ـ حتى استبان الغضب فى وجهه ... وخرجت أم سلمة الى الحجرات فوجدت الوصيفة وهى تلعب ببهمة فقالت : ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما سمعتك ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك »(٤١) .

وقد نذر المسلمون ما يملكون من نفس ومال للحق الذى يعملون له ... ويتعاملون به بعد أن حدثهم رسول الله صلى الله عليه

---

(٤٠) رواه أبو داوود باسناد صحيح .
(٤١) رواه أحمد والطبرانى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسلم بمنزلة المقسطين عند ربهم فقال : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ... وكلتا يديه يمين : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »(٤٢) .

ثم ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه المثل ... فرأوه يحق الحق ... وهو يقضى لرجل يغلظ له القول ... ولا تزيده سفاهة الرجل الا حلما ... وسماحة .. وعدلا ...

... عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ له ... فهم به أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دعوه فان لصاحب الحق مقالا ... ثم قال : أعطوه سنا مثل سنه (أى جملا مثل جمله) .. قالوا : يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه ... قال : أعطوه ، فان خيركم أحسنكم قضاء »(٤٣) .

وراوه صلى الله عليه وسلم ... لا يحابى .. ولا يجامل المسىء لجاهه وحسبه ونسبه ومكانته فى قومه ...

... عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ... فقالوا : من يجترىء عليه الا أسامة

---

(٤٢) رواه مسلم والنسائى .   (٤٣) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن زيد حب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ... فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أتشفع فى حد من حـدود الله تعالى ؟! ثم قام فاختطب ثم قال :

« انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ... واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحـد ... وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »(٤٤) .

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء الظـالم فى حديثه الشريف وقال :

« من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقـد أوجب الله لـه النار ، وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وان كان شيئا يسـيرا يا رسول الله . قال : وان كان قضيبا من أراك »(٤٥) .

وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جزاء الظالم لا يقتصر على ما يلقاه من عقاب يوم لقاء ربه ، وأن الله يجازى الظالم بظلمه فى دنياه وقال :

« لا تظلموا ، فتدعوا فلا يستجاب لكم ، وتستسقوا فلا تسقوا ، وتستنصروا فلا تنصروا »(٤٦) .

وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة المسـلمين على مقاومة الظالم ، وبين فى حديثه الشريف أن مقاومة الظالم مسئولية يقوم بها كل من رأى ظلما يقع بأخيه وقال :

---

(٤٤) متفق عليه .

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٦) رواه الطبرانى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيـه رجل ظلما ، فان اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعـوا عنـه . ولا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيـه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على كل من حضره حين لم يدافعوا عنه »(٤٧) .

وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه بأن لا يضيعوا مكانتهم السـامية ، ومنزلتهم الكريمة عند ربهم ، وقد كرمهم ورفع من شـأنهم ، وبأن لا يحتقروا أنفسهم خوفا من البغى والعدوان وقال :

« لا يحقرن أحدكم نفسـه . قالوا : يا رسول الله . وكيف يحقر أحدنا نفسـه ؟! قال : يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيـه . فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقـول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فاياى أحـق أن تخشى »(٤٨) .

ذلك أن الناس قد تخشى أولى القوة ، وتشرى أمنها ، فلا تنصر مظلوما حتى يكاد المستضعفون فى الأرض يظنون أن شـمس العدل قد غابت ، وأن الأرض ومن عليها قد دانت لفئة باغية ، لا ترعى الله لا فى دينها ولا فى دنياها .

لكن صوت الحق لابد وأن يعلو على الباطل ما دام على الأرض طائفـة من الأمة قائمـة على الحـق كما حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

---

(٤٧) واه الطبرانى والبيهقى .
(٤٨) رواه ابن ماجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل بنا • فيقول : لا ، ان بعضكم لبعض أمراء ، تكرمة الله تعالى لهذه الأمة »(٤٩) •

هذه الطائفة المجاهدة لا تخشى فى الله لومة لائم ، ولا يخرس ألسنتهم عن الحق دينار ولا درهم ، ولا يبغون بما يقولون أو يفعلون علوا فى الأرض ولا فسادا •

هؤلاء الذين زكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبر جهادهم فى سبيل الله أفضل الجهاد فى حديث شريف رواه أبو عبد الله طارق بن شهاب البجلى الأحمس رضى الله عنه قال : ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغرز • أى الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر »(٥٠) •

لقد أمن الاسلام العبد المسلم فى نفسه ودينه وماله وعرضه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام المسلم عند ربه ومكانته ومنزلته وقال :

« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم »(٥١) •

وأغلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابواب الشيطان حتى لا يجد سبيلا الى الفتنة وقال :

---

(٤٩) أخرجه أحمد ومسلم . (٥٠) رواه النسائى .

(٥١) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح ، فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار »(*) .

حدود الله :

أما من تسول له نفسه الأمارة بالسوء خلاف ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فان له جزاءه ... وله عقابه الذى يتمثل فى حدود الله ... والتى تعاونت أمة الاسلام على اقامتها ... حتى لا تسود الأمة أنصار الباطل ... وجنود الشيطان ... فيهلك الحرث والنسل ... وينهار صرح القيم الاسلامية ... وتعود الأمة الى حياة الأنعام أو أضل ...

لذا .. دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اقامة الحدود ، وضرب لنا مثلا لأمة تقيم حدود الله ، وأخرى غافلة وقال :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ... وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ... فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ... فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ... وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[٥٢] .

وبفضل الله وبرحمته أمن المجتمع ... وتحقق فيه قول

(*) رواه البخارى ومسلم .

(٥٢) رواه البخارى والترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم حيث يقــول : يا عدى هل أتيت الحيرة ؟ ... قال عدى : لم آتها وعلمت مكانها ... فقال : يوشك أن تخرج الظعينة بغير جوار حتى تطوف بالبيت » .

ان أمة الاسلام قد نعمت بالأمن ردحا طويلا من الزمن ، فالحق كان سبيلهم الى العــدل ... والعدل كان من ثماره الأمن ... هــذا الأمن الذى قال عنه الامام أحمد بن حنبــل فى مسنده : من أراد أن يعرف غاية الأمن والسكينة عليه أن يعرف حكم اللقطة فى الاســلام ... فانه يدعها مكانها حتى يرجــع اليها صاحبها أو يلتقطها فيعرفها ســـنة ثم تعد دينا فى ذمته ... أما فى الحرمين فهو يعرفها أبدا(٥٣) .

مجتمع العلم والتعلم :

وأصبح المجتمع العربى بعد اسلامه مجتمعا للعلم والتعلم فى شئون الدين والدنيا ، ونالوا بعد اسلامهم حظهم من العلم ، ثم صــاروا يلقنونه للأمم التى كانت لا تعلم شيئا لا من أمور دينها ولا من أمور دنياها .

وكان من فضل الله على العرب ، وعلى الأمة الاســلامية وسيظل هذا الفضل نورا يشرق فى عقول وقلوب المؤمنين بالله ربا ، وبرحمة الله للعالمين نبيا ورسولا ، وبالقرآن هاديا ومبشرا ونذيرا ــ كان من فضل الله أن آيات القرآن الكريم نزلت تحت

---

(٥٣) مســـند الامام أحمد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتباعه على القراءة فى أول آية لأول سورة نزلت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ﴾[٥٤] •

ولقد اهتدت أمة العرب بعد اسلامهم بهدى الكتاب الكريم، وسنة الرسول الرءوف الرحيم ، فقرأت ، وتعلمت ، وعلمت من حولها من الأمم •

ولأن القراءة نبع رقراق تستقى العقول منه ، فتثرى بالعلوم والمعارف ، ولأن القراءة مورد عذب ترده النفوس الضالة فتهتدى ، والقلوب المضطربة فتطمئن ، والأرواح الشاردة فتألف وتأتلف • لذلك رفرفت راية العرب لما اهتدوا بكتاب ربهم فقرأوا وتعلموا •

وكان أول كتاب قرأته العرب – بعد اسلامهم – هو كتاب القدرة ، والرحمة ، واللطف ، والابداع • ورأت – وهى تقرأ هذا الكتاب الثرى بمعانى الايمان – رأت العرب ربها فى نفسها بعد أن تدبرت ، وتأملت ، وفكرت ، كيف خلقها على غير مثال سبق ، ثم جعل منها زوجها ليسكن اليها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء •

قرأت العرب – بعد اسلامهم – كتاب القدرة

---

(٥٤) العلق : ١ – ٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والابداع ، فاهتـــدت بفضـــل ربهـــا الى عظمتـــه ، وقـــدرته ، فآمنت بـــه خالقـــا وبارئـــا ، ومصـــــورا ، وآمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم داعيـا الى الله وسراجا منيرا ، وبالكتاب الذى أنزله معه مبشرا ونذيرا .

حقا انه كتـــاب أزلى أبدى ، يعلن فى كل آونة وحين قدرة الله وابداعه ، وحكمته ، ولطفه بخلقه .

انه كتاب القدرة يتلو على الدهر منذ الأبد حتى الأزل : ان الله هو الخالق البارىء المصـــور ، وأنه الواحـــد الأحـــد الفرد الصمد .

وساعتها ســـجدت القلوب تناجى ربها الذى خلقهـــا من العدم ، وتتلو آياته التى تقرر عظمته وابداعه فى قوله تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من ســـلالة من طين ، ثم جعلنـــاه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنـــا النطفة علقة ، فخلقنا العلقـــة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[٥٥] .

وقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التفقه فى شـــئون الدين ، وأوصى أبا ذر الغفارى رضى الله عنـــه الى تحصيل العلم ، وقال :

« يا أبا ذر ، لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغـــدو فتتعلم بابا من العـــلم عمل به أو لم يعمل به ، خير لك من أن تصلى ألف ركعة »[٥٦] .

---

(٥٥) المؤمنون : ١٢ ــ ١٤ (٥٦) رواه ابن ماجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وامتثل الصحابة رضــوان الله عليهم لوصاياه صلى الله عليه وسلم ، فنفرت تتفقه فى شــئون دينها ، وتنهل من مناهل العلم أينما كان ، فاذا بهم يقطعون الوديان ، ويجتازون الصحراء ليتثبتوا من حديث شريف سمعوه •

فعل ذلك أبو أيوب الأنصارى الذى قصد مصر راكبـا دابته ليتثبت من حديث شريف سمعه •

وفى مصر توجه الى دار عقبة رضى الله عنه بالفسطاط حتى اذا تحقق من الحديث الشريف عاد من حيث أتى الى المدينــة المنــورة •

ذلك أن الصحابة رضــوان الله عليهم وهم ينهلون من مناهــل العــلم ، ويردون نبعه الرقــراق ، ويتحملون فى ذلك المشــقة ، انما كانوا يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله ، وطمعا فى جناته التى وعدهم بها ربهم ، وبشرهم بها نبيهم صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف وقال :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنــة »(٥٧) •

وازداد اقبالهم على العلم لمــا تنزلت الرحمات على العالم فى دنياه وأخراه ، ولمــا اطمأنت قلوبهم الى الهدى النبــوى يزف اليهم ثواب الله الذى لا ينقطع عن العالم الذى ترك فى الناس علما نافعا ، فينهل من موزده المقبلون على ربهم ، ويحدثهم بأن فضل الله يتنزل عليه وهو بجوار ربه •

---

(٥٧) رواه مسلم وأبو داود وغيره •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وبشر به الصحابة رضوان الله عليهم وقال :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ... صدقة جارية ... أو علم ينتفع به ... أو ولد صالح يدعو له »(٥٨) .

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذى دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتصر على العلم بشئون الدين ... لكن هدى النبى صلى الله عليه وسلم ووصاياه للصحابة رضوان الله عليهم ، وللمسلمين ، تبين أن المقصود هو مطلق العلم .

فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضى الله عنه الى تعلم السريانية وقال :

« انى اكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا فتعلم السريانية » .... قال زيد رضى الله عنه :

« فتعلمتها فى سبعة عشر يوما »(٥٩) .

وحسبنا أن آيات الله الكريمة بينت لنا أن العلم بشئون ديننا لا يقف حائلا عن العلم بشئون دنيانا ...

ولا أدل على ذلك من أن يوسف عليه السلام ، وقد بعثه الله نبيا ، يدعو أتباعه الى عبادة ربه كان على علم بشئون المال حتى جعله العزيز ملك مصر أمينا على خزائنه ...

قال تعالى : ﴿ ... وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على

---

(٥٨) اخرجه أحمد ومسلم والثلاثة .

(٥٩) رواه البخارى بألفاظ اخرى .

خزائن الأرض انى حفيظ عليم • وكذلك مكنــا ليوســف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحســنين ﴾[٦٠] •

كما بينت آيات الله منافع الحديد فى قوله تعالى : ﴿ لقد أرســلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقــوم الناس بالقسط وأنزلنــا الحديد فيه باس شــديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز ﴾[٦١] •

ولو أننــا تدبرنا أمر الحضــارة الغربيــة بمنشــئاتها ، ومصانعها ، وطائراتها ، وأقمارها الصناعية ، وســفن الفضاء ، وأسلحتها التى سيطرت بها على شــعوب دونها علما لرأينا أن هــذا الصرح الشــاهق قام على عناصر منها الحــديد الذى أشــارت آيات الكريم الى استخداماته فى قوله تعالى :

﴿ قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفســدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيــه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، ءاتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال ءاتونى أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾[٦٢] •

وامتثــل المســلمون لاشــارات القــرآن الكريم ••• واهتدوا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ••• فدرسوا •••

---

(٦٠) يوسف : ٥٤ ــ ٥٦ (٦١) الحديد : ٢٥
(٦٢) الكهف : ٩٤ ــ ٩٧

وتعلموا .. وعلموا ... وكان من علمائهم فى الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والطبيعة من شاد بذكرهم وباسهامهم العلمى المنصفون من علماء الغرب .

يقول المستشرق جورج سارطون :

« ..... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم العربى ... ولقد أوردت كلمة « معجزة » لترمز الى ما بلغ اليه المسلمون والعرب من الثقافة والعلم مما يخرج تقريبا عن نطاق التصديق » .

وحقا ما قاله المستشرق جورج سارطون .. فقد أورثوا الغرب علوما أقاموا بها حضارتهم ... ولولا علماء المسلمين ما قامت هذه الحضارة ، فقد ظلت جامعة مونبليه تستشهد بآراء ابن سينا الى أواخر القرن الماضى .

كما وأن أبا بكر الرازى يعد أول واضع لعلم الطب التجريبى ، وكان يجرى تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته عليها .

كما وأنه يعتبر أول من وضع طريقة العلاج بالمشاهدة .

وهو أول من عرف الحصبة والجدرى ، وأول من فكر فى العلاج النفسى ...

واعترف الغرب باسهامه العلمى ، وخصصت له جامعة « بريستون » الأمريكية أكبر جناح فى أجمل بناء لعرض مآثر الطبيب المسلم أبى بكر الرازى ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما وأن المسلمين هم أول واضعى علم الطبيعة بعد أن عرفوا كثيرا من النباتات الطبية ...

ويعد أبو القاسم ــ طبيب القصر الملكى فى قرطبة ــ من الأطباء النابغين ، وقد ألف كتبا فى الجراحة والتوليد .

وتولى المسلمون حماية التراث الحضارى للأمم السابقة ، ونقلوا للغرب فلسفات اليونان ، ودراساتهم ، وأبحاثهم ، وأسهامهم الحضارى . ولولا المسلمون لما عرفت أوربا المعاصرة شيئا عن تراث اليونان والفرس والرومان ، ولما قامت حضارتها التى كان للمسلمين دور كبير فى قيامها كما يقر بذلك جوستاف لوبون ويقول :

« ان القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة العرب ، وان العرب هم الذين مدينوا أوربا ، ولا تزال عناصر مدنية العرب ، وهى الدين ، واللسان ، والفنون حية ، فالعرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر ، مع استقامة الدين » .

ولعلنا لا نحتاج الى دليل على أن الحضارة الاسلامية التى قامت عليها وعلى ما نقلتها حضارة الغرب المعاصرة لم تكن لتزدهر لولا مبادىء الاسلام السامية ، وتكريمه للعلم والعلماء .

كما وأن الاسلام وهو دين الله الذى فطر الناس عليه راعى فى اسهامه الحضارى الجانب المادى والجانب الروحى ، فقامت الحضارة الاسلامية انسانية فى غايتها ، مثالية فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخلاقها ومعاملاتها ، واضعة نصب عينيها سعادة الانسان روحا ، ونفسا ، وجسما ، محققة له آماله دنيا وأخرى .

وقد شهد بهذا كثير من علماء الغرب منهم المستشرق فوريسون الذى قال :

« ان الحق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر من معتقد ودين ، وهو نظام اجتماعى تام الجهاز ، وحضارة كاملة النسيج ، لها فلسفتها ، وتهذيبها ، وفنونها » .

ولم يكن لهذا النظام الاجتماعى والحضارة الكاملة النسيج لتتحقق الا برحمة من الله وفضل ...

ولم يكن لهذا الشتات من القلوب أن تأتلف الا بهدى من نبى الرحمة الذى ظل يقوم المعوج ويهدى الضال حتى آخر لحظة من لحظات حياته ...

ولا أدل على هذه المنة الربانية من خروجه الى الأنصار لما سمع بخشيتهم من موته فى مرضه الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى .

... لقد خرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على على بن أبى طالب والفضل والعباس أمامه يخط برجليه ، وهو معصوب الرأس وجلس أسفل مرقاة فى المنبر ، فثار الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ... هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ... ألا وانى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاحق بربى ، فأوصيكم بالمهاجرين خيرا ... وأوصى المهاجرين فيما بينهم بخير » .

... ومضى نبى الرحمة وهـو يعانى من مرضـه يوصى المهاجرين بالأنصار ويقول : « وأوصيكم بالأنصـار خيرا .. فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم » ..

... وظل يعدد مآثرهم ويقول : « ألم يشـاطروكم فى الثمـار ألم يوسـعوا عليكم فى الديار ... ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصـة » .

وأوصى المسـلمين وصية ان اقتدوا بها سعدوا فى دنياهم ونعموا بما يجريه ربهم من خير على أيدى أئمتهم وقال :

« يا أيها النـاس ان الذنوب تغير النعم ، فاذا بر النـاس برتهم أئمتهم ... واذا فجر الناس عتى أئمتهم » .

رحمـة الله للعالمين :

كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم رحمـة للعالمين انسـهم وجنهم .. زرعهم وضرعهم ... دوابهم وهـوامهم وطيرهم .

ولقد تناولنـا رحمته صلى الله عليـه وسلم بالانسـان ... ورأينا كيف تجلت هـذه الرحمة لمـا دعا النـاس أجمعين فى مشـارق الأرض ومغاربها الى خير دين ، ولم يفرق فى دعوته بين جنس وجنس .. ولون ولون .

وأرسـل رسله الى مشـارق الجزيرة العربيـة ومغاربها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يدعون الناس الى عبادة الله الواحـد القهار ...

ودعا الأكاسرة والقياصرة ، ودعا المستضعفين فى الأرض ، والأمراء والملوك ، ودعا العرب والعجم .

أرسـل صلى الله عليـه وسلم دحية بن خليفة الى قيصر ملك الروم ، وأرسل عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشـة ، وأرسـل حاطب بن أبى بلتعـة الى المقوقس ملك الاسكندرية ، وأرسـل عمرو بن العاص السهمى الى جيفر وعياد ملكى عمان ، وأرسـل سليط بن عمر الى ثمامة وهوذة ملكى اليمامة ، وأرسـل العـلاء بن الحضرمى الى ملك البحرين ، وأرسـل شجاع بن وهب الى ملك تخوم الشـام ، وأرسـل أبى أمية المخزومى الى ملك اليمن .

لقد تغمدت رحمته التى بعثه الله بها الناس عامة ، فحذرهم من العذاب ان أشركوا بربهم وخالفوه فيما أمرهم بم ، وصور لهم نار جهنم وكأن شـهيقها وزفيرها يطن فى آذانهم وقال : « ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسـول الله ... قال : فانها فضلت بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها »(٦٣) .

وبين للناس طعامها وشرابها حتى يتقوها بصالح العمـل وقال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا ، فكيف بمن يكون طعامه »(٦٤) .

---

(٦٣) أخرجه مالك والشيخان والترمذى .

(٦٤) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجة والحاكم والترمذى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحتى لا تأتى الناس الساعة بغتة وهم فى لهوهم وغيهم وضلالهم ، وحتى لا يندموا على ما فاتهم يوم لا ينفع الندم ، حدثهم بأماراتها حتى يكونوا على بينة منها وقال :

« لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كالضرمة من النار »(٦٥) .

وكانت عيناه تذرفان رحمة بأتباعه ، اذا تليت آية تبين شهادته لأن الشاهد لا يخفى النقائص ، وما ذلك الا رحمة بأمته من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

... عن أبى مسعود رضى الله عنه قال ... قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ على القرآن » ... فقلت : يا رسول الله ... أقرأ عليك ... وعليك أنزل ؟! قال : « انى أحب أن أسمعه من غيرى » ... فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت الى هذه الآية : ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ .. فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان(٦٦) ...

وكان من رحمته بالناس أن وصف لهم الجنة وقصورها ... وحورها ... وأنهارها حتى يعمل لها العاملون ... وحتى يقوموا الليل .. ويصوموا النهار ... ويبذلوا جهدهم ليفوزوا بها .. وينعموا بثمارها ... وظلالها .. وولدانها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ... الجنة : ما بناؤها ؟ قال : لبنة من فضة ، ولبنة من

---

(٦٥) أخرجه أحمد والترمذى .   (٦٦) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذهب ، ملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران . من يدخلها ينعم ولا يبؤس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم .. » الحديث[٦٧].

ثم بين لهم أن الايمان بالله والعمل الصالح يعنى السيادة فى الأرض ، والأمن فى النفس والمال والدين ...

وأوصاهم بالالتزام بما أمرهم به ربهم ليتحقق فيهم وعده الذى وعدهم به فى قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[٦٨] .

ثم كان من رحمته التى تغشت أمته منذ بعثه حتى قيام الساعة أن بين لهم مكانتهم ومنزلتهم عند عدوهم ان جاهدوا لاعلاء كلمة الله ، ونصر دينه ، وهوان أمرهم ان ركنوا الى الحياة الدنيا وآثروها على الآخرة وهان عليهم دينهم .

وبين كل آونة وحين ترى أمة الاسلام حديثه ماثلا أمامهم ان أغمضوا أعينهم ولو للحظات عن الجهاد ، ورأوا الذلة والهوان ينزل عليهم تصديقا لما حدثهم به وقال :

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة

---

(٦٧) أخرجه احمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى.
(٦٨) النور : ٥٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى قصعتها . قالوا : أومن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا .. والذى نفسى بيده انكم يومئذ لكثير ولكنكم كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليجعلن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت »(٦٩) .

رحمة الله للعالمين والشفاعة :

ووسعت رحمته صلى الله عليه وسلم المذنبين من أتباعه ، وادخر دعوته شفاعة لأمته يوم الفزع الأكبر الذى وصف هوله رب العزة والجلال فى كتابه الكريم .

قال تعالى : ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ﴾(٧٠) .

فى هذا اليوم العصيب يشفع نبى الرحمة لأمته ، كما حدثنا بذلك وقال : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وانى أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا »(٧١) .

رحمة الله للعالمين والجن :

ولقد نالت الجن حظا من رحمته لما استمعوا اليه صلى الله عليه وسلم يتلو آيات ربه ، وذهبوا الى قومهم يدعونهم الى كتاب ربهم وهدى نبيهم ، فآمن به من آمن ، وكفر من كفر .

---

(٦٩) أخرجه ابو داود .　　(٧٠) الحج : ٢

(٧١) أخرجه الشيخان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى : ﴿ واذ صرفنا اليــك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين • قالوا يا قومنا انا ســمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لمــا بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مســتقيم ، يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنــوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾[٧٢] •

رحمــة الله للعــالمين وعالم الحيــوان :

ولم يكن الحيوان بأقل حظا فى رحمته من الانس والجن ، فقد رحم الحيوان وأوصى بالرفق به فى الحضر والسفر وقال : « اذا ســافرتم فى الخصب فأعطوا الابل حظها من الأرض ، واذا ســافرتم فى الجدب ، فأسرعوا عليها الســير وبادروا بها نقيها ، واذا عرستم[٧٣] فاجتنبــوا الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل »[٧٤] •

ولعلنا لو تدبرنا أمر الجمل الذى شكى صاحبه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمنا مدى رحمته التى أنعم الله بها على العالمين ، فنال كل من فى الوجود حظه منها حتى ولو كان حيوانا لا يعقل ، ولا ينطق ، الا أنه بدافع غريزته التى يعرف بها المــاء والطعام فيشرب ويأكل : أحس بهذه الرحمة •

عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : أردفنى رسول

---

(٧٢) الاحقاف : ٢٩ ـ ٣٢ (٧٣) نزلتم بالليــل •

(٧٤) رواه مسلم •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأسر الى حديثا لا أحدث به أحدا من الناس ، وكان أحب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا[75] أو حايش[76] نخل فدخل حائطا من الأنصار ، فاذا فيه جمل ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه[77] فسكت ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لى يا رسول الله . فقال : أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه »[78] .

وكانت العرب تقطع أسنمة الابل وهى حية ، وكانت تعدها أحسن طعامها ، فنهاهم عنها وقال فى حديثه الشريف :

« ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة »[79] .

ومن رحمته وصاياه لأصحابه رضوان الله عليهم بأن يحسنوا الذبحة ، ويحدوا الشفرة دون أن تراها البهيمة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أضجع شاة ، وهو يحد شفرته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تميتها موتتين . هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها »[80] .

وكما نرى اليوم « مصارعة الثيران » رياضة محببة

---

(٧٥) بناء مرتفع .
(٧٦) النخيل المجتمعة المتقاربة .
(٧٧) العظم الذى خلف الأذن .
(٧٨) ترهقه .
(٧٩) رواه احمد وابو داود .
(٨٠) رواه الطبرانى والحاكم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لنفوس أقفرت من الرحمة ، وقلوب أجدبت من الرفق ، فهللت ، وصفقت لمصارع يردى حيوانا أمام أعينهم قتيلا . ورأت بعين القسوة دماء تنزف فى ميدان المصارعة نصرا مبينا .

كذلك كانت العرب قبل بعث نبيها صلى الله عليه وسلم تفعل بالحيوان والطير حتى نهاها عن هذه القسوة التى دلت على قلوب سكنها الشيطان لما غفلت عن ذكر الرحمن

لقد نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه العادة كما حدثنا ابن عباس رضى الله عنه وقال :

« نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم »(٨١) .

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القسوة فى معاملة الحيوان ، واهماله شأنه فى طعامه وشرابه ، يورد صاحبه موارد الهلاك ، وقال :

« عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »(٨٢) .

كما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العبد المسلم ان أحسن لحيوان فأطعمه أو سقاه أنعم الله عليه برضاه يوم يلقاه ... وقال :

« بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب

---

(٨١) رواه أبو داود والترمذى .
(٨٢) متفق عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ... فقـال :

« لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له .. قالوا : يا رسول الله .. وان لنا فى البهائم أجرا ؟ .. فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر »(٨٣) .

وقد كان للطير حظه من رحمته صلى الله عليه وسلم ، لذا أوصى الصحابة رضوان الله عليهم بالرفق ... وأبى على العبد المسلم أن يعبث بالطير حتى يهلكه وقال : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول :يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة »(٨٤) .

وقد اتبع الصحابة رضوان الله عليهم سنته واهتدت بهديه ، وانتهت عن العبث بالطير وكانت تنهى صغارها عن العبث بالطير كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما عندما مر بفتيان من قريش وقد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا (٨٥) .

ولعل ما يجسم رحمته أمامنا حتى نكاد نلمسها بأيدينا هو

---

(٨٣) أخرجه البخارى .
(٨٤) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٨٥) متفق عليه .

ما حدثنا به ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[86] معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تعرش[87] فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من فجع هذه بولديها ؟! ردوا ولديها اليها » .

ورأى قرية نمل حرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن . قال : لا يحرق بالنار الا رب النار »[88] .

حقا يا رسول الله « لا يحرق بالنار الا رب النار » وما كان للصحابة رضوان الله عليهم الا أن يهيموا فى أنوار رحمتك فيرحموا كما هديتهم كل ذى كبد رطبة .

وصدق الله الرحمن الرحيم الذى قال فى كتابه الكريم ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ .

لقد رحمت يا نبى الرحمة الكون كله انسه وجنه ، زرعه وضرعه وطيره .

ورحمت برحمة من الله من صاحبك ومن عاداك ، ومن اتبعك واهتدى بهداك .

وكما رحمت يا رسول الله من اقتدى بقدوتك ، واستن بسنتك فى دنياك ، ادخرت لهم الشفاعة يوم يلقونك فى أخراك .. فأنت يا رسول الله فى ظهر الغيب رحمة وفى الدنيا رحمة وفى الآخرة رحمة .

---

(٨٦) طائر أحمر اللون .
(٨٧) كأنها تبنى عشا .
(٨٨) رواه أبو داود .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٢٧٨٧
الترقيم الدولى ٧ - ٠٥٤ - ٤٧٢ - ٩٧٧


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى ١٩٩٠ م — ١٤١٠ هـ

الثمن ٢٠٠ ص

Bibliotheca Alexandrina
0289666